قصص وعِبَر

أنور داود

قصص وعبر

قصص وعِبر

جمع وإعداد: أنور داود

مراجعة: د. فايز فؤاد

تصميم الغلاف: مورنينج ستار، ت: ٢٦٢٣٦٩٥٧

إخراج فني: راعوث زكي

رقم الإيداع: ١٥٣٠/ ٢٠٠٩

طبعة أولى: يناير ٢٠٠٩

يطلب من:

مكتبة الإخوة: ٣ ش أنجه هانم، شبرا مصر، ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤

وفروعها:

مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي، تريومف، ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الأسكندرية: ٦ ش الفسطاط، كليوباترا – ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا: ٦ ش الجيش، ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيوط: ٢١ ش عبد الخالق ثروت، ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الدلتا بالأسكندرية

الفهرس

تقديم ٥

القسم الأول: بركات الألم

١ الكهول والشرنقة ٧
٢ الكوخ المحترق ١٠
٣ اقطع الحبل ١٣
٤ يا بني انزل ١٦
٥ صورته فيك ١٨
٦ قسوة أم حُب ٢٠
٧ الله يحفر آبار السعادة بفأس الألم ٢١
٨ الجرة المشروخة ٢٣
٩ فرّاش في مايكروسوفت ٢٦
١٠ الله يعمل للخير ٢٨
١١ لا تدع الله يأخذ منك شيئًا ٣٠

القسم الثاني: خدمتنا لله

١٢ لمسة السيد ٣٢
١٣ قلم رصاص ٣٤
١٤ هل تسن آلتك؟ ٣٦
١٥ الخادم وشجرة التفاح ٣٩
١٦ الشحات والخباز ٤٠
١٧ اعمل عمل المبشر ٤٣
١٨ باكو بسكويت سبب خلاص نفس ٤٥
١٩ ليست لدي أية وسائل أخرى ٤٧

القسم الثالث: علاقتنا مع الله

٢٠ عيد ميلاد في كوريا ٤٩
٢١ الصبي حامل الكتب ٥٣
٢٢ ثق في محبة أبيك ٥٥
٢٣ أبي ليس تاجرًا لكنه ملك ٥٧

٢٤ سبب الرجاء ٥٩
٢٥ اللؤلؤ الغالى الثمين ٦١
٢٦ محبة القلب ٦٣

القسم الرابع: علاقتنا بعضنا ببعض

٢٧ النجّار والأخوان المتخاصمان ٦٤
٢٨ الزرع والحصاد ٦٧
٢٩ تذكر ٧٠
٣٠ المصفاة المثلّثة ٧٢
٣١ كلما زاد عطاؤنا.. .... ٧٤
٣٢ حذاء غاندي ٧٦
٣٣ ارم خبزك ٧٨
٣٤ الحساسية وانتقاد الآخرين ٨٠
٣٥ اكتبوا آلامكم على الرمال ٨٢
٣٦ أين يختفي السُم؟ ٨٣
٣٧ هل كلمة آسف تداوي الجراح؟ ٨٧
٣٨ الجنازة الخطأ ٨٩

القسم الخامس: قصص وعِبر

٣٩ مَنْ سيخلف الإمبراطور؟ ٩٢
٤٠ أغنى رجل ٩٦
٤١ معفي من دفع الضريبة ٩٩
٤٢ هذا المنزل جدير باقتنائه ١٠١
٤٣ أنا صاحب الفكرة ١٠٢
٤٤ رأيت الموت ١٠٤
٤٥ سأقبل عذرك وسأعود مرة أخرى ١٠٦
٤٦ توقف عن الحديث معي، ليحدث الجزار ١٠٨
٤٧ ورثة الله ووارثون مع المسيح ١١٠
٤٨ مثل التوأمين ١١٢
٤٩ قطعة أرض أم قطعة سلاح ١١٤
٥٠ إلى العلياء أعود ١١٦

تقديم

إن قيثارة الوحي الإلهي تُعلن لنا أن الأعمار كالأشبار، والأيام كالوشيعة، وما الحياة إلا بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، وما نحن على مسرح الحياة إلا كالزهر الذي يخرج قليلاً ثم يذبل وينحسم. والحياة في قِصرها مُشبَّهة أيضًا بقصة تُحكى (مز٩٠: ٩).

إن قصة حياتنا قصيرة وتنتهي روايتها سريعًا، ولكن تُرى ما هو تأثيرها على مَنْ حولنا بعد قراءتها؟ هل هي قصة تشهد فصولها المتتابعة عن أمانة الله ورعايته، كما تدل على حنانه ومحبته؟ وهل هي قصة يلمس فيها مَنْ يقرأها من الرحمة الإلهية والمعونة السرمدية ما يستثير فيه حاسيات السجود لربنا وإلهنا يسوع المسيح؟ أم هي قصة مروعة تستدر الدموع وتثير الأحزان؛ إذ تمتلىء فصولها بالتقصيرات والسقطات، بالآثام التي ارتكبناها، والذنوب التي اقترفناها؟ هل قصة حياتي هي رحيق عبق يُذكِّر كل مَنْ حولي برائحة المسيح الزكية؟ أم أنها تفسد الجو برائحتها، ويعاف كل إنسان أن يقترب منها؟

في هذا الكتاب مجموعة من القصص المنتقاة، بعضها واقعي والآخر رمزي، قام الأخ المحبوب أنور داود بجهد مشكور في جمعها وتبويبها.

أصلي أن كل مَنْ يقرأ هذه القصص يستخرج منها العبر والدروس التي تجعل حياته قصة جميلة ممتعة لكل مَنْ يقرأها.

فايز فؤاد

القسم الأول: بركات الألم

١

الكهول والشرنقة

حدث في زمان ما وفي أرض بعيدة جدًا، أنه كان يعيش رجلاً كهولاً طيب القلب أحب كل شيء حتى الحيوانات، والطيور، والحشرات. وفي يوم ما بينما كان يتمشى في الغابات المحيطة بمنزله، وجد هذا الرجل الطيب القلب شرنقة. وإذ كان يحس بالوحدة، قرر أن يأخذ هذه الشرنقة إلى بيته ليُشاهد عملية التحوُّل الجميلة من شرنقة صغيرة لطيفة المنظر إلى فراشة جميلة.

ووضع الشرنقة برفق على المنضدة بالمطبخ، وأخذ يُراقبها بدقة لمدة أيام عدة. وفجأة، وفي اليوم السابع بدأت الشرنقة تتحرك وكانت تتحرك بعنف. وأحس العجوز بأسف على الفراشة الصغيرة التي داخل الشرنقة. وكان يُراقبها وهي تجاهد وتجاهد من داخل الشرنقة لكي تشقَّها!

وأخيرًا، أشفق الرجل الكهول على فراشة الشرنقة، فاندفع إلى معونتها بمشرط جراحي، حيث شقَّ به الشرنقة برفق شديد شقًّا طوليًا حتى يمكن

للفراشة من الداخل أن تخرج منه وتبدو للعيان! وكانت هي الفتحة، حيث خرجت منها الفراشة حُرَّة، ولكن لكي تستلقي بلا أي حِراك تمامًا.

ولم يعرف الرجل الكهول حتى أن يفكر. فهل قتل هو الفراشة الصغيرة عن غير قصد؟ لا، فها هي تتحرَّك قليلاً! ربما كانت عليلة!

ومَنْ ذلك الحكيم الذي يستطيع أن يدلَّه عمَّا حدث لها؟ وأُحبط، وتحيَّر! وقال لنفسه: «ماذا عليَّ أن أفعل»؟

وفي حسرته عمَّا فعل لهذا المخلوق الصغير، قرَّر أن أفضل ما يفعله هو أن يُرجعها برفق شديد إلى شرنقتها مرة أخرى.

وهكذا فعل، ولَحَم الشقَّ الذي فتحه بقليل من العسل، وترك الفراشة تتقوقع مرة أخرى في حالتها الطبيعية الأولى داخل الشرنقة.

وفي اليوم التالي لاحظ أن الشرنقة تتحرَّك مرة أخرى. يا الله! إنها تتحرك وتتحرك والفراشة من الداخل تجاهد وتجاهد. وأخيرًا انطلقت الفراشة حُرَّة من شرنقتها، وفَرَدت جناحيها طولاً وعرضًا!

ما أكثر الوقت اللازم لكي يظهر الفجر! ها هي بجناحيها الملوَّنين المليئين بالنقوش البديعة! وطارت داخل الغرفة ثم خرجت من النافذة وهي في منتهى الجمال!

وكاد الرجل الكهول أن يطير من الفرح! وظل يراقبها وهي تطير في الخارج حتى غابت عن نظره. ما أعظم الفرح الذي ملأه!

ثم بدأ يُفكِّر، ما الخطأ الذي فعلته وأنا أحاول أن أساعد هذه الفراشة الصغيرة الجميلة على الخروج من شرنقتها في المرة الأولى؟

وتوجَّه الرجل الكهول إلى المدينة، وبحث عن المكتبة العامة، وأخذ يُفتش في كل كتاب وجده عن الشرنقات والفراشات.

وأخيرًا، عثر على الإجابة. فالفراشة كان لابد لها أن تجاهد وتجاهد داخل الشرنقة. وهذه هي الطريقة التي تحصل بها على القوة. وهذا ما دبَّره الله لها لكي تقدر أن تُقاوم، لكي تخرج قوية وجميلة! ولا حاجة إلى القول إن الرجل اندهش، وحَزِن، ولكنه استراح أخيرًا. الآن عرف السبب فيما حدث منه للفراشة. فكان لا بد للفراشة أن تجتاز هذا الموقف الصعب لكي تخرج إلى الحرية وتطير بحرية. كما عرف الرجل أنه إذا ما أحببنا شخصًا ما كثيرًا، فلا بد أن نصلِّي من أجله ونُشجِّعه على احتمال الألم.

فنحن جميعًا نشبه الفراشات الجميلة، ولا بد لنا من الآلام والتدريبات والتي قد تؤدي إلى فناء الإنسان الخارجي ولكنها تعمل في النهاية على تجديد الإنسان الداخلي فيظهر الجمال الروحي للعيان.

«احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم ينشيء صبرًا. وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء»
(يع ١: ٢-٤)

أحيانًا نُقدم أنفسنا وإمكانياتنا كحلول للنفوس المتألمة حولنا مثلما فعل ألقانة مع حنة زوجته عندما قال: «أما أنا خير لك من عشرة بنين» (١صم١: ٨). وننسى أننا بهذا نقف بين الرب والنفس المجربة ونُعطل الكثير من المعاملات الإلهية.

٢

الكوخ المحترق

تحطَّمت سفينة أثناء سفرها في عباب البحر ولم ينجُ إلا واحد من ركابها جَرَفته الأمواج وألقته على جزيرة صغيرة غير مأهولة بالسكان. ولما أفاق الرجل، الذي كان تقيًا يخاف الله، لم يجد وسيلة أمامه سوى الصلاة لله لكي ينقذه. وفي كل يوم كان يدور ببصره في عرض البحر لعلَّه يجد في الأُفق سفينة تأتي لتنقذه، ولكنه لم يجد شيئًا.

وإذ أُرهق من البحث والتعب، قرر أن يبني كوخًا صغيرًا من بقايا الخشب العائم بجانب الشاطئ ليأويه من أجواء الطبيعة، وليحفظ حاجياته القليلة التي بقيت معه.

لكنه ذات يوم، وبعد أن تجوَّل ليجمع من حوله ما يجده صالحًا ليقتات به، رجع إلى كوخه الصغير ليجده يشتعل بالنار، وقد التف الدخان صاعدًا إلى السماء.

وما أسوأ الكارثة التي حدثت، فقد ضاع كل شيء! وامتلأ الرجل بالحزن والغضب صارخًا: «كيف تفعل بي هكذا، يا رب»؟

ومن الحزن والتعب نام.

وباكرًا جدًا في اليوم التالي، استيقظ على صوت سفينة تمخر عباب البحر. فقام لتوِّه وشاهد سفينة تقترب من الجزيرة وكأنها آتية خصيصًا له! لا شك أنها أتت لتنقذه.

وحالما وصلت، توجَّه الرجل المغموم نحو قائدها، وسأله: «كيف عرفت أني أنا هنا»؟

فرد عليه القبطان: «لقد رأيتُ الدخان الذي أصعدته أنت عاليًا، وهذه علامة عندنا نحن البحارة بها نعرف أن شخصًا ما يطلب النجدة»!

من السهل أن تثبط همَّتنا حين يُصيبنا مكروه، ولكن ينبغي ألا نيأس أو يخور قلبنا فينا، لأن الله هو مدبِّر حياتنا، حتى ونحن في عمق الألم والمعاناة.

تذكَّر في كل مرة يحترق بيتك، أي يضيع كل ما وضعت عليه آمالك، أن الدخان الصاعد منه هو الذي يستدعي نعمة الله لتنقذك.

وحينما نتواجه مع البلايا والمحن ونتكلَّم مع أنفسنا بالسلبيات، يردُّ علينا الله بالإيجابيات:

أنت تقول: مستحيل.

والله يقول: «غير المستطاع عند الناس، مُستطاع عند الله» (لو ١٨: ٢٧).

أنت تقول: لقد تعبت جدًا.

والله يقول: «أنا أُريحك» (مت ١١: ٢٨).

أنت تقول: أنا أضعف من أن أُكمِّل.

والله يقول: «تكفيك نعمتي» (٢كو ١٢: ٩).

أنت تقول: لا يمكنني أن أُتمِّم هذا العمل.

والله يقول: «بل تستطيع كل شيء في المسيح» (في ٤: ١٣).

أنت تقول: لا أقدر.

والله يقول: «أنا قادر» (٢كو ٩: ٨).

أنت تقول: ما يحدث غير مناسب.

والله يقول: «كل الأشياء تعمل معًا للخير» (رو ٨: ٢٨).

أنت تقول: أنا فاشل.

والله يقول: «أنا لم أُعْطِك روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تي ١: ٧).

٣

اقطع الحبل

يحكى أن رجلاً من هواة تسلق الجبال، قرر تحقيق حلمه في تسلق أعلى جبال العالم وأخطرها. وبعد سنين طويلة من التحضير وطمعًا في أكبر قدر من الشهرة والتميُّز، قرر القيام بهذه المغامرة وحده.

وبدأت الرحلة كما خطط لها ومعه كل ما يلزمه لتحقيق حلمه.

مرت الساعات سريعة ودون أن يشعر، فاجأه الليل بظلامه وكان قد وصل تقريبًا إلى نصف الطريق حيث لا مجال للتراجع، ربما يكون الرجوع أكثر صعوبة وخطورة من إكمال الرحلة وبالفعل لم يعد أمام الرجل سوى مواصلة طريقه الذي ما عاد يراه وسط هذا الظلام الحالك وبرده القارس ولا يعلم ما يخبئه له هذا الطريق المظلم من مفاجآت.

وبعد ساعات أخرى أكثر جهدًا وقبل وصوله إلى القمة، إذ بالرجل يفقد اتزانه ويسقط من أعلى قمة الجبل بعد أن كان على بُعد لحظات من تحقيق حلم العمر أو ربما أقل من لحظات!

وفي أثناء سقوطه تمسك الرجل بالحبل الذي كان قد ربطه في وسطه منذ

بداية الرحلة ولحسن الحظ كان خطاف الحبل معلق بقوة من الطرف الآخر بإحدى صخور الجبل، فوجد الرجل نفسه يتأرجح في الهواء، لا شيء تحت قدميه سوى فضاء لا حدود له ويده المملوءة بالدم، ممسكة بالحبل بكل ما تبقى له من عزم وإصرار.

وسط هذا الليل وقسوته، التقط الرجل أنفاسه كمَنْ عادت له الروح، يمسك بالحبل باحثًا عن أي أمل في النجاة.

وفي يأس لا أمل فيه، صرخ الرجل:

- إلهي، إلهي، تعال أعني!

فاخترق هذا الهدوء صوت يجيبه: «ماذا تريدنى أن أفعل؟»

- أنقذني يا رب!!

فأجابه الصوت: «أتؤمن حقًا أني قادر على إنقاذك؟»

- «بكل تأكيد، أومن يا إلهي ومَنْ غيرك يقدر أن ينقذني؟»

- «إذن، اقطع الحبل الذي أنت ممسك به!»

لم يستطع الرجل أن يفهم!! وقال في نفسه: «كيف أقطع الحبل؟ كيف؟ إن قطعته سوف أسقط من هذا الارتفاع الشاهق، وفي هذا الظلام سوف أموت لا محالة... ربما هذا الصوت ليس من الله.. ربما لم يسمعني!»

ثم صرخ مرة أخرى من أعماق قلبه: «إلهي... إلهي... تعال وانقذني».

عاد الصوت ليجيبه: «اقطع الحبل الذي أنت ممسك به».

وبعد لحظة من التردد لم تطُل، تعلق الرجل بحبله أكثر فأكثر.

وفي اليوم التالي، عثر فريق الإنقاذ على جثة رجل على ارتفاع مترين من سطح الأرض، مُعلَّق بحبل وقد جمده البرد تمامًا... «مترين فقط من سطح الأرض!»

وماذا عنك؟ هل قطعت الحبل؟

هل مازلت تظن أن حبالك سوف تنقذك؟

إن كنت وسط آلامك ومشاكلك، تتكل على حكمتك وذكائك، فاعلم أنه ينقصك الكثير كي تتعلم معنى الإيمان.

«توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يُقوِّم سبلك»

(أم٣: ٥، ٦)

«ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه»

(إر١٧: ٥)

٤

يا بني انزل

شاب اسمه فادي كان يسكن بقرب النهر. وفي أحد الأيام، رأى فادي أن مستوى الماء في النهر قد ازداد بشكل خطير بسبب المطر، وسمع الإذاعات تنبه: «على جميع مَنْ يسكنون بقرب النهر أن يغادروا بيوتهم حالاً لأن فيضانًا كبيرًا على وشك الوقوع».

كان فادي مؤمنًا، وكان يثق بالعناية الإلهية، فركع وصلّى: «يا رب خلّصني».

فسمع صوت الرب يقول له: «لا تخف يا فادي، سأخلّصك».

اطمأن فادي وبدأ يزاول أعماله اليومية بهدوء. وفي العاشرة صباحًا، ملأ الماء الطابق الأول. فالتجأ فادي إلى الطابق الثاني. ومرت سيارة رجال الإطفاء وقالوا له: «أسرع، تعال معنا».

فأجاب: «لا داعي، فعندي سلام فهناك مَنْ سيُخلّصني». وفي ساعات بعد الظهر، وصل الماء إلى الطابق الثاني. ومر قارب من المنقذين وصرخوا: «تعال انزل، فالخطر داهم».

لكنه قال: «عندي مَنْ يحميني!».

وفي الساعة الخامسة من بعد الظهر، ملأ الماء البيت، فالتجأ فادي إلى السطح. ومرت سيارة الصليب الأحمر تبحث عن أشخاص يحتاجون إلى مساعدة. رأوه على السطح، فقالوا له: «تعال، ستخلُص». لكنه أعاد نفس الكلام.

وفي الساعة السادسة مساءً، غرق فادي ومات. وصل إلى باب السماء وذهب يعاتب الله قائلاً: «ألم تَقُل أنك ستخلّصني من الفيضان؟ ها أنا قد متّ!».

فأجابه الله بحنان: «لقد حاولت تخليصك ثلاث مرات، وأرسلت إليك ثلاث سيارات تخلّصك... ولكنك كنت ترفض الخلاص في كل مرة».

عزيزي.. عزيزتي.. إن ثقتنا بالله كبيرة ولكن الله يعمل من خلال الإنسان.. من خلال القريب.. فلننظر بتمعن في وجوه الآخرين وسنرى وجه المسيح حاضرًا من خلالهم.

٥

صورته فيك

في اجتماع أخوات لدراسة الكتاب المقدس، اجتمعت بعض السيدات لدراسة سفر ملاخي، وعندما وصلن إلى الآية الثالثة في الأصحاح الثالث «**فيجلس ممحصًا ومنقيًا للفضة**»، تأملن ماذا يمكنهن أن يعرفن من تلك الآية عن صفات الله. فتبرعت إحداهن أن تبحث في عملية تمحيص وتنقية الفضة، وتوافيهن في الاجتماع القادم، فاتصلت بأحد صناع الفضة، وطلبت منه أن تراقبه وهو يعمل، ولم تذكر له سببًا سوى أنها تريد أن تعرف كيف تنقى الفضة. وبينما هي تراقبه، أخذ الصانع قطعة من الفضة ووضعها في وسط النار للتسخين، وشرح لها أنه يضع الفضة في المنطقة الأكثر سخونة في اللهب، وذلك ليحرق الشوائب.

وفكرت المرأة... إن الله يضعنا أينما كان «اللهب أكثر سخونة». ثم تذكرت عبارة أنه «**يجلس ممحصًا ومنقيًا للفضة**». فسألت الصانع: «هل حقيقي أنك لا بد أن تجلس أمام النار وأنت تنقي الفضة؟» فأجابها الصانع: «ليس فقط أن أجلس ممسكًا بالفضة بل يجب أن أراقبها أيضًا جيدًا طوال الوقت لأنها لو تُركت دقيقة أطول في النار تفسد».

سكتت المرأة برهة وسألته: «وكيف تعرف أن الفضة قد صارت مُمحصة ومُنقاة تمامًا؟» فابتسم الصانع وقال: «هذا سهل يا سيدتي... عندما أرى صورتي فيها».

إذا شعرت اليوم بحرارة النار... تذكر أن الله لن تغيب عيناه عنك ولن يتركك دقيقة أطول... إنه قريب منك ويراقبك باهتمام منتظرًا أن ينظر صورته فيك.

«إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩)

فكر معي.. قطعة من الفولاذ ثمنها لا يتجاوز الخمسة جنيهات، ولكن حين صنعوا منها إبرًا للخياطة ارتفعت قيمتها إلى خمسين جنيهًا، وإذا استخدمت لعمل تروس للساعات قفز سعرها إلى الخمسين ألفًا من الجنيهات.. فكر معي، ما سر هذه القفزة الضخمة من خمسة جنيهات إلى خمسين ألفًا.. بلا شك السبب يعود إلى التهذيب والصقل والتشكيل الذي مرت به هذه القطعة لعمل تروس الساعات، فكلما زاد التهذيب كلما ارتفع الثمن.

إن الشجر الذي يتعرض للعواصف والزوابع هو دائمًا أقوى وأكثر ثباتًا في الأرض من الذي ينمو بعيدًا عن شدة الرياح.. وهكذا نحن كلما احتملنا آلامًا من يد الله كلما زادت قيمتنا وأصبحنا مهيئين أكثر لتتميم مقاصده وصرنا أوفر بركة وتعزية للآخرين.

يا صديقي.. الإيمان لا ينمو مطلقًا في جو الراحة. مباركة هي الضيقات فهي التي تحمينا من العلاقة السطحية مع الله وتعطينا فرصة ذهبية لاختبار قوته واقتداره!

٦

قسوة أم حُب

عانى زوجان، لم يعرفا الرب بعد، آلامًا شديدة بسبب موت ابنهما الوحيد، وقادتهما عناية الله في أحد الأيام إلى نهر صغير شاهدا على شاطئه راعيًا للغنم يريد أن يعبر بالقطيع هذا النهر إلى الشاطئ الآخر، لأن هناك على الشاطئ الآخر كانت المراعي خضراء. حاول الراعي أن يُعبّر القطيع، لكن المياه أخافت الغنم مع أنها ضحلة وليست عميقة، وفجأة رأيا الراعي يتقدم إلى أحد النعاج المرضعات وأخذ منها الحمل الصغير الذي ترضعه وعبر به إلى الشاطئ الآخر، وبسرعه رآى الزوجان النعجة المرضعة تلقي بنفسها في أحضان المياه وتعبر النهر وهي تمأمئ وتنادي صغيرها. وفجأة عبر القطيع كله خلف هذه الأم. فهم الزوجان من هذا المشهد، ماذا يريد الله أن يقول لهما. إن الله يريدهما معه في السماء، ولكي ما يقودهما إلى هناك، أخذ صغيرهما وحيدهما ذا السنوات الثلاث. كان يبدو هذا في منتهى القسوة، لكنه فعل هذا بحب شديد. فركعا وصليا وعبرا إلى طفلهما بالإيمان إلى الشاطئ الآخر.

«وهكذا نكون -أحياء وراقدين- كل حين مع الرب» (١تس٤: ١٧)

٧

الله يحفر آبار السعادة بفأس الألم

في داخل حظيرة للخراف جلس أحد الرعاة يداعب إحدى نعاج القطيع وقد أسندت رأسها على ساقه، ونظرت نحوه في ود وحنان، ولم يكن خافيًا أن هذه النعجة الوديعة كانت مكسورة الساق، وهى تقاسي من جراء ذلك بعض الألم، وكان واضحًا أيضًا أن الراعي يحب هذه النعجة كثيرًا، ويعتنى بها عناية فائقة، لكن الشيء الذي لا يعرفه الشخص الغريب هو أن هذه الساق لم تكسر في حادث، أو نتيجة إصابة خاطئة، بل إن الراعي نفسه هو الذي كسر ساق نعجته عمدًا ومع سبق الإصرار!

يقول الراعي: كانت هذه النعجة شرودًا جامحة دون باقي الخراف! لم تكن تطيع لي أمرًا، أو تسمع لي صوتًا، أو تقبل مني تحذيرًا! إنها نموذج للعصيان والتمرد! فبينما أسير بالقطيع في طريق آمنة إذ بهذه النعجة تجري في استهتار نحو مسالك منحدرة، ومهاو زلقة، وهي إذ تعرض حياتها للهلاك فإنها أيضًا تضلل معها النعاج التي تمشي خلفها، وتتأثر بها!

ولم يكن أمامي إلا أن أهوي على ساقها بعصاي حتى أعوق اندفاعها،

وأرغمها على التريث والتروي، وفي ذلك اليوم الذي كسرت فيه ساقها، قربتها إليَّ، وقدمت لها طعامًا خاصًا، وسهرت على علاجها وراحتها. وها هي الآن تعرف صوتي وتتابع حركتي، وتصحو على وقع قدميّ، وعندما تُشفى تمامًا ستصبح قائدة للقطيع؛ فهى الآن أكثر الأغنام طاعة وحبًا وتمسكًا بي.

إن الله يضربنا أحيانًا بالمرض أو بألوان مختلفة من الالآم؛ حتى نخضع عند قدميه، وتتعلق أنظارنا به، ونسمع صوته ونعرفه. إنه يضربنا حين يرى أننا نجمح بعيدًا عن شاطئ الأمان، ونندفع نحو حتفنا دون أن ندري.

«اعلمي وانظري أن تركك الرب إلهك شر ومر»

(إر ٢: ١٩)

«أمينة هي جروح المحب»

(أم٢٧: ٦)

٨

الجرة المشروخة

كان لسقّا (بائع الماء) جرتان من الفخار، كل منهما مُعلّقة في نهاية طرف حامل خشبي يحمله على رقبته. كانت إحدى الجرتين مشروخة، بينما الجرة الأخرى سليمة. ودائمًا ما كانت الجرة السليمة تحوي كمية المياه كاملة بلا نقصان منذ ملئها حتى توصيلها إلى بيت السيد، بينما الجرة المشروخة يتبقى بها فقط نصف الكمية منذ أن يحملها السقا من مجرى الماء إلى بيت السيد.

على مدى سنتين كاملتين كان هذا العمل يتم يوميًا حيث يوصل السقا إلى بيت سيده جرة ونصف من الماء. وبالطبع افتخرت الجرة الكاملة بكمالها، فهي ممتلئة إلى حافتها بالماء وتؤدي الغرض الذي من أجله صُنعت؛ بينما كانت الجرة المشروخة خجلة لعدم كمالها، ويائسة لعدم قدرتها على حمل كل كمية المياه بل نصفها فقط.

بعد سنتين من هذا الفشل الذريع تكلمت الجرة المشروخة مع السقا (حامل المياه) عند مجرى الماء، وقالت له: «إني أخجل من نفسي وأريد

الاستعفاء»! فسألها السقا: «لماذا؟ مم تخجلين؟» فأجابته: «لأنني لم أتمكن على مدى السنتين الماضيتين من حمل كل كمية المياه بل نصفها فقط، بسبب هذا الشرخ في جنبي الذي يجعل المياه ترشح للخارج عبر كل الطريق الذي تسلكه حتى تصل لسيدك. وبسبب خللي هذا، فأنت مضطر لكل هذا العناء، ولا تجني فائدة كاملة مما تبذله من مجهود».

حينئذ شعر الرجل بتأثر بالغ من جهة الجرة المشروخة المسكينة، وفي عطف تحدث معها قائلاً: «في طريق عودتنا لبيت السيد أريدك أن تلاحظي الزهور الجميلة عبر الطريق»، وبينما كان السقا يسير في الوادي وهو حامل جرتي الماء، لاحظت الجرة المشروخة أن الشمس تسطع على زهور برية جميلة على جانب واحد من الطريق هو الجانب الأيمن وهذا أسعدها بعض الشيء.

لكن في نهاية الرحلة كانت ما تزال تشعر بيأس لأن كمية المياه التي تحملها رشحت منها نصف الكمية، وهكذا أبدت أسفًا شديدًا للسقا بسبب فشلها في حمل كل كمية المياه. آنئذ قال السقا للجرة: «هل لاحظت أن الزهور موجودة فقط على جانب الطريق الذي من جهتك أنت حيث أحملك على كتفي الأيمن، وليس من الجهة الأخرى. هذا لأني عرفت نقصك الدائم واستفدت منه، فزرعت بذور بعض الأزهار عبر الطريق على الجانب الأيمن. وكل يوم في طريق عودتي من مجرى المياه، بينما أنا أسير حاملاً الجرتين، كانت هذه البذور ترتوي من الماء الذي يرشح منك على الجانب الأيمن. وخلال سنتين نمت هذه الزهور وكبرت واستطعت أن أقطفها وأزين بها مائدة سيدي. فلو لم تكوني بهذا الضعف ما كان بيت سيدي يحظى بهذه الزهور

الجميلة». هذا الكلام شجع الجرة، وأبعد عنها حالة اليأس التي هيمنت عليها بسبب ضعفها.

يقول الرب: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل». فيقول المؤمن: «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي، لكي تحل عليّ قوة المسيح» (٢كو ١٢: ٩).

إن لكل منا نقائصه، كلنا جرار مشروخة، لكن متى سلمنا حياتنا للرب يسوع فهو يستخدم نقائصنا لمجد أبيه الصالح. إذا كنا داخل التدبير الإلهي العظيم، فلن يضيع شيء هباء طالما نحن نخدم مع الله.

والله يدعوك لمهام يشير بها إليك، فلا تجزع من ضعفاتك، اعرفها، واسمح لله أن يستخدمها. وأنت أيضًا تستطيع أن تكون أداة في تجميل طريق الله. تقدم بشجاعة عالمًا أنه في ضعفنا نجد قوة الله، وأنه في المسيح النعم والأمين لمجد اسمه القدوس، آمين.

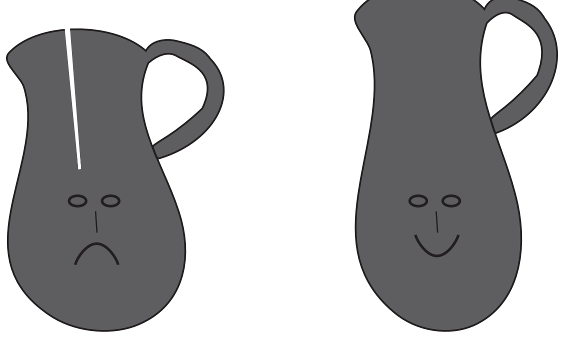

٩

فرّاش في مايكروسوفت

تقدم رجل لشركة مايكروسوفت للعمل بوظيفة فرّاش، وبعد إجراء المقابلة والاختبار (تنظيف أرضية المكتب)، أخبره مدير التوظيف بأنه قد تمت الموافقة عليه وسيتم إرسال قائمة بالمهام وتاريخ المباشرة في العمل عبر البريد الإلكتروني.

أجاب الرجل ولكنني لا أملك جهاز كمبيوتر ولا أملك بريدًا إلكترونيًا!

رد عليه المدير (باستغراب) مَنْ لا يملك بريدًا إلكترونيًا فهو غير موجود أصلاً، ومَنْ لا وجود له فلا يحق له العمل!

خرج الرجل وهو فاقد الأمل في الحصول على وظيفة، فكر كثيرًا ماذا عساه أن يعمل وهو لا يملك سوى ١٠ دولارات.

بعد تفكير عميق ذهب الرجل إلى سوق الخضار وقام بشراء صندوق من الطماطم ثم أخذ يتنقل بين الأحياء السكنية ويمر على المنازل ويبيع حبات الطماطم. نجح في مضاعفة رأس المال وكرر نفس العملية ثلاث مرات إلى أن عاد إلى منزله في نفس اليوم وهو يحمل ٦٠ دولارًا. أدرك الرجل أنه

يمكنه العيش بهذه الطريقة فأخذ يقوم بنفس العمل يوميًا يخرج في الصباح الباكر ويرجع ليلاً.

أرباح الرجل بدأت تتضاعف فقام بشراء سيارة ثم شاحنة حتى أصبح لديه أسطولاً من الشاحنات لتوصيل الطلبات للزبائن. بعد خمس سنوات أصبح الرجل من كبار الموردين للأغذية في الولايات المتحدة!

ولضمان مستقبل أسرته فكر الرجل في شراء بوليصة تأمين على الحياة فاتصل بأكبر شركات التأمين، وبعد مفاوضات استقر رأيه على بوليصة تناسبه، فطلب موظف شركة التأمين منه أن يعطيه بريده الإلكتروني!

أجاب الرجل ولكنني لا أملك بريدًا إلكترونيًا!

رد عليه الموظف (باستغراب) لا تملك بريدًا إلكترونيًا ونجحت في بناء هذه الإمبراطورية الضخمة!! تخيل لو أن لديك بريدًا إلكترونيًا! فأين ستكون اليوم.

أجاب الرجل بعد تفكير: «فرّاش في مايكروسوفت!!»

«الذي يفتح ولا أحد يُغلق ويُغلق ولا أحد يفتح»

(رؤ٣: ٧)

١٠

الله يعمل للخير

يُحكي عن ملك له صديق وكان الملك وصديقه لا يفترقان إلا نادرًا، يخرجان معًا ويجلسان معًا. وفي يوم من الأيام خرج الملك وصديقه إلى رحلة صيد في إحدى الغابات، وطلب الملك من صديقه أن يجهز له بندقية الصيد وأن يضع فيها الطلقات المناسبة، فقام الصديق بتجهيز البندقية وأعطاها للملك، ولكن الصديق أخطأ في إعداد البندقية فعندما ضغط الملك على الزناد قطعت إصبع الملك (لتغير اتجاه خروج الرصاصة). فغضب الملك غضبًا شديدًا على صديقه وأمر أن يلقى في السجن، ولكن الصديق كان مؤمنًا وذهب إلى السجن بدون تذمر وقال لابد أن هذا الأمر للخير وطوال فترة وجوده في السجن كان دائمًا يرى كل شيء أنه للخير.

وبعد مضي حوالي عام، والصديق مازال في السجن، خرج الملك بمفرده إلى رحلة صيد ولكنه ضل طريقه في الغابة وسقط بين أيدي قبيلة من آكلة لحوم البشر، فأمسكوا بالملك وأوثقوه بالحبال ليُعدوه ليكون وليمة عشاء بالنسبة لهم. ولكن فجأة لاحظ أحد أفراد القبيلة أن إصبع الملك مقطوعة فأبلغ رئيس القبيلة بذلك. ولما كان العُرف في القبيلة ألا يأكلوا شخصًا ما لم

يكن سليمًا تمامًا وليس فيه عيب. وبسبب إصبع الملك المقطوعة قرروا أن يطلقوا سراحه حيث أنه لا يصلح للأكل بسبب هذا العيب.

وانطلق الملك حرًا وهو لا يصدق أنه قد نجا من الموت، وفكر في صديقه الذي في السجن، وأنه لولا خطأ هذا الصديق في إعداد البندقية ما كان إصبعه قد قُطع، وبالتالي لكان سليمًا ولكان أفراد القبيلة قد ذبحوه وأكلوه.

وأسرع الملك إلى السجن وأطلق سراح صديقه وأخذ يعتذر له عن الفترة التي قضاها في السجن ولكن الصديق قال للملك: «إن وجودي في السجن كان لخيري ونجاتي فلو لم أكن في السجن لكنت قد ذهبت معك إلى رحلة الصيد ولكنا قد سقطنا كلانا في أيدي القبيلة ولكانوا قد ذبحونا وأكلوا لحمنا نحن الاثنين؛ لذلك لا تتأسف يا صديقي الملك لأن السجن كان خيرًا».

ما أكثر الذين يرون في السجن شرًا وظلمًا ولكن هذا الرجل كان لديه إيمان بأن كل ما يحدث في حياته هو خير من الله.

«ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوين حسب قصده»

(رو ٨: ٢٨)

١١
لا تدع الله يأخذ منك شيئًا

كان أحد خدام الرب في زيارة فتاة، طريحة الفراش في مستشفي للعيون، فيما الأطباء يُجاهدون عبثًا للحيلولة دون إصابتها بالعمى، وبحزن بالغ وأسى شديد، قالت الفتاة لخادم الرب: «سيأخذ الله بصري!». فأصغى إليها الرجل باهتمام شديد، ولم يَقُل كلمة في بادئ الأمر، ثم أجابها برقة وحنان: «لا تدعيه يأخذ بصرك أخذًا يا عزيزتي، بل أعطِه إياه عطاءً». فقالت الفتاة: «لم أفهم!»

فقال لها: «حاولي أن تُصلّي هذه الصلاة: أيها الآب، إن كان لا بد من فقد بصري، فساعدني كي أُعطيك إياه بسماحة القلب، في خضوع كامل لمشيئتك الصالحة بلا تذمر في القلب وبلا احتجاج في الفم. احفظني يا رب من المرارة والاستياء، ومن الإحباط والقلق، ومن صِغَر النفس والرثاء للذات. وساعدني يا رب لكي أظل واثقة في محبتك التي لا تتغير، وفي حكمتك التي لا تُخطئ. واسندني بنعمتك ليتحوّل تذمري إلى تسبيح، وحُزني إلى فرح، فأعطيك بصري، بل وكل حياتي، تقدمة محبة لشخصك، يا مَنْ أحببتني، ومن عظم حبك لي لم تُشفق على ابنك وحيدك الذي

تُحبه، بل بذلته لأجلي على الصليب، فصار مُخلّصي وصخرتي، ومصدر قوتي ورجائي، ومجدي وملجأي».

إن الله الذي يعطي: الصحة، النجاح، الثروة، الأولاد، القوة، الشهرة؛ من حقه أن يأخذ كل شيء إذا اختار ذلك، لأنها في حقيقة الأمر ملكه. فإذا كنا نقبل أشياء صالحة من يده، فيجب علينا أن نكون مهيَئين لقبول أشياء أخرى ربما تبدو في ظاهرها شرًا.

إن الإيمان، الذي ربطنا بالله أبينا، يجعلنا نثق أن الصعاب والعقبات التي تعترض حياتنا، إنما هي نِعَم جليلة، وذلك متى واجهناها واثقين في محبته وحكمته وقدرته على مزج كل الأشياء وجعلها تعمل معًا لخيرنا (رو٨: ٢٨).

عزيزي: لا تدع الله يأخذ منك شيئًا، بل أعطه إياه عطاءً، مترنمًا من قلبك بنغمة عالية وصادقة:

فأنا لستُ لذاتي ليس لي شيءٌ هنا

كلُّ ما عندي لفادي النفسِ وهَّاب المُنى

إذ فداني إذ فداني ذاك بالدم الكريم

القسم الثاني: خدمتنا لله

١٢

لمسة السيد

الآلة القديمة كانت في حالة يُرثى لها ومليئة بالغبار، ورأى المسئول عن المزاد أنها لا تستحق أن تُعرض، لكن بالرغم من ذلك قال: «كم يستحق هذا الكمان؟ مَنْ يريد البدء بالمزايدة؟»

دولار واحد.. دولار واحد..

دولاران.. دولاران مَنْ يزيد؟

ثلاثة دولارات.. ثلاثة دولارات، مرة واحدة.. مرتان،

حسنًا إذًا يُباع بثلاثة دولارات.

لكن تقدّم من آخر الصالة رجل عجوز ذا شعر أبيض أخذ الكمان وعصاه ومسح الغبار عن الكمان.. شدّ الأوتار، وبدأ يعزف لحنًا ناعمًا من هذه الألحان التي تهدئ النفس والتي تجد نفسك مسرورًا لسماعها. حلّ الهدوء

في الصالة بفضل الموسيقى. أعلن المسئول عن المزاد وبصوت منخفض عن إعادة المزاد قائلاً: والآن ماذا تقولون؟ ألف دولار! مَنْ يزيد؟

ألفا دولار، ألفا دولار من هنا..

ثلاثة آلاف دولار.. ثلاثة آلاف دولار مرة واحدة.. ثلاثة آلاف دولار مرتان.. بيع.

بدأ التصفيق لكن البعض لم يتمكن من إخفاء تعجُّبه: «ما الذي حصل حتى تغيرت قيمة هذا الكمان؟» صاح أحدهم قائلاً: «هذه لمسة المعلّم!»

كثيرون هم الذين تمزِّق الخطية أرواحهم وتجعلهم ضعفاء أمام التجارب، وهم كهذا الكمان لا يساوون الكثير بالنسبة للآخرين في مزادات الحياة؛ لكن المعلم يتقدم والجمع الجاهل لا يُقدِّر قيمة الروح ولا التغيير الحاصل بفضل لمسة المعلّم.

أيها الفخاري الأعظم! أنا أيضًا ضائع، من فضلك المسني بيدك، وحولني الآن. ضع في قلبي لحنًا جديدًا وأغنية لك إلى الأبد.

«لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها»

(أف٢: ١٠)

١٣

قلم رصاص

في أحد الأيام تكلم صانع أقلام الرصاص إلى أحد أقلامه قائلاً: له هناك خمسه أمور أريدك أن تعرفها قبل أن أرسلك إلى العالم فلتتذكرها دائمًا وعندها ستكون أفضل قلم موجود:

(١) سوف تكون قادرًا على عمل الكثير من الأمور العظيمة ولكن فقط إن أصبحت في يد أحدهم.

(٢) سوف تتعرض لبري مؤلم من فترة لأخرى، ولكن هذا ضروري لتكون أفضل.

(٣) لديك القدرة على تصحيح أخطائك.

(٤) دائمًا سيكون الجزء الفاضل فيك في داخلك.

(٥) مهما كانت ظروفك عليك أن تستمر في الكتابة، وأن تترك خلفك خطًا واضحًا حتى وإن كانت المواقف التي تمر بها قاسية.

وفهم القلم ما طلبه منه صانعه ودخل إلى علبة الأقلام تمهيدًا للذهاب للعالم بعد أن أدرك الغرض من صنعه.

الآن بوضع نفسك مكان القلم تذكَّر دائمًا أنك ستكون أفضل إنسان إذا أدركت الآتي:

(١) ستكون قادرًا على صنع العديد من الأمور العظيمة إن تركت نفسك بين يدي الله.

(٢) سوف تتعرض للألم من فترة لأخرى بواسطة التجارب وهذا لكي تصبح إنسانًا قويًا.

(٣) ستكون قادرًا على تصحيح أخطائك والنمو من خلالها.

(٤) الجزء الأهم منك سيكون داخلك في قلبك وروحك.

(٥) في أي طريق تمشيه عليك أن تترك أثرك وأن تخدم إلهك في كل شيء.

كل منا يشبه القلم الرصاص الذي صُنع لأجل غرض معين وهدف من أجله وُجد، وعليك أن تكتشف ما هو الهدف من وجودك وتعمل جاهدًا لتحقيقه.

١٤

هل تسن آلتك؟

تقدم شاب إلى رئيس العمال الذين يقطعون الأشجار (الحطابين) يطلب أن يعمل معهم. فأجابه رئيس العمال:

- «فلنَرَ أولاً كيف ستقطع هذه الشجرة»؟

وتقدم الشاب إلى الشجرة، وبكل مهارة أسقط شجرة ضخمة بعد أن قطع جذعها من أسفل بالبلطة التي في يده. وإذ أُعجب به الرئيس، قال له بتصميم: «يمكنك أن تبدأ من يوم الاثنين».

وبدأ الشاب يعمل يوم الاثنين، فالثلاثاء، فالأربعاء، فالخميس. وفي مساء الخميس تقدَّم رئيس العمال من الشاب وقال له:

- «يمكنك أن تقبض حسابك اليوم وتنصرف».

وتحيَّر الشاب، وأجابه: «أظن أنك تصرف الأجور يوم الجمعة (نهاية الأسبوع)»!

فأجابه المعلِّم: «نعم، هذا يحدث عادة، ولكننا سنصرفك من اليوم لأنك

سقطتَ في الامتحان، لأن البيان اليومي لقطع الأشجار قد أظهر أنك تراجعت في عدد الأشجار التي قطعتها من الترتيب الأول يوم الاثنين إلى الترتيب الأخير اليوم».

فاعترض الشاب: «لكني عملت بكل مشقة وتعب. فأنا أول مَنْ يصل إلى مكان العمل في الصباح الباكر، وأعمل حتى في وقت الراحة المخصَّصة لشرب القهوة»!

ولما رأى رئيس العمال نزاهة الشاب، فكَّر لمدة دقيقة، ثم سأل الشاب:

«هل كنت تسن البلطة التي تقطع بها يومًا بعد يوم»؟

فأجاب الشاب: «لا، يا سيدي، لقد كنت أعمل طول الوقت دون هوادة، لأربح مقابل الوقت الإضافي»!

إن حياتنا هي مثل هذا الشاب، فكثيرًا ما ننشغل جدًا لدرجة أننا لا نسمح لوقت «نسن فيه آلاتنا»، أي نفوسنا.

في عالم اليوم، ينشغل الناس أكثر من الزمان السابق، ولكنهم ليسو سعداء مثل أُناس الزمان السابق. لماذا؟ هل ربما لأننا نسينا أن نجعل نفوسنا دائمًا حادة مبريَّة؟

ليس العمل والنشاط عيبًا أو خطأ. ولكن الله لا يريدنا أن نظل مشغولين إلى حد أن ننسى الأمور الهامة في حياتنا حقًا، مثل أن نجد وقتًا لنصلِّي، أو لنقرأ في كلمة الله، أو نخرج إلى الجبل مع المسيح لنختلي ونصلِّي (مت١٤: ٢٣؛ مر٦: ٤٦؛ لو٦: ١٢)، أو حتى نخلد إلى خلوة في مخدعنا لعلنا نسمع صوت الله الخفيض لنا مثل إيليا (١مل١٩: ١٢).

كلنا محتاجون أن نهدأ، ونفكِّر، ونتأمل، لنتعلَّم وننمو، ونسترجع شركتنا مع الله في المسيح. فإن لم نجد وقتًا لنسن آلاتنا، أي نفوسنا، فسوف نصبح فاترين غير مؤثرين، ونتراجع إلى الوراء ونخسر الكثير.

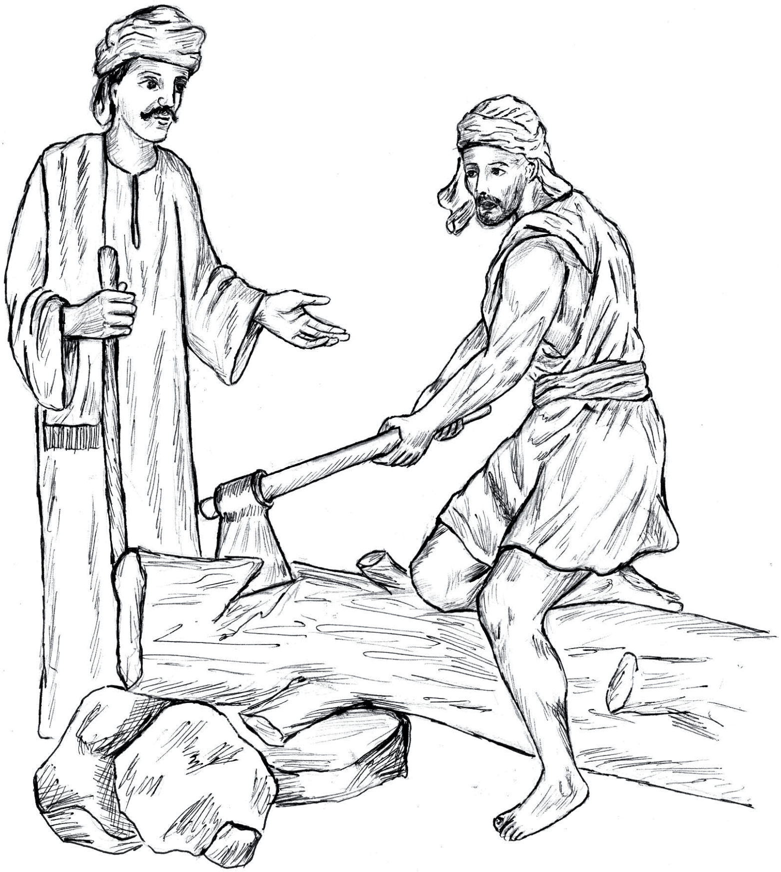

١٥

الخادم وشجرة التفاح

كان ستانلي جونز واحدًا من أشهر القادة والمرسلين في القرن العشرين وقد عاش حياة أمينة وتقية على مدى سنوات خدمته الشاقة. لكن هذا الرجل المبارك يحكي عن السنوات الأولى من خدمته، وكيف بلغ به اليأس حدًا كبيرًا بسبب تعثر خدمته ومرض جسده ونفسه أيضًا، ويُذكر أنه في يوم من الأيام سار في طريقه مهمومًا يفكر فيما يمكنه أن يصنعه حتى تكون حياته مثمرة وخدمته ناجحة، ولشدة التعب استلقى على ظهره في ظل شجرة تفاح وبينما هو يفكر جاء صوت كائن من السماء يقول: «هل يئست؟» فقال جونز: «نعم يا رب يئست جدًا ولا أعلم ماذا ينبغي أن أفعل»، فقال له الصوت ارفع نظرك وتأمل في التفاحة التي تتدلى قدامك من الشجرة وأخبرني ماذا فعلت هذه التفاحة لتصل إلى ما هي عليه من حلاوة ونضوج، قال جونز: «أظنها لم تعمل شيئًا لقد ظلت عالقة بأمها الشجرة تتغذى من رحيقها حتى نضجت»، فأجابه الرب: «وهذا ما تحتاج إليه أنت. لا تفكر في الأعمال التي ستقوم بها، بل دع أولاً عصارة الكرمة تنساب مني إليك. وسترى كيف أغذيك وأقويك وأثمرك. وانفتحت الينابيع العظيمة بين ستانلي جونز وسيده فكانت هذه نقطة التحول العظيم في حياة هذا الخادم. (من فضلك اقرأ مز ١: ٢، ٣)

١٦

الشحات والخباز

أتى إليّ شحات وجلس بجواري، وقال لي: «أريد خبزًا»، فنظرت إليه مليًا وأكدت له: «كم أنت حكيم يا رجل، فالخبز هو ما تحتاجه فعلاً، وقد طلبتَ طلبك من الخباز الصحيح». ثم مددت يدي وأخذت من على الرف مرجعي في خَبْز الخُبز، وبدأت أعلمه كل ما أعرفه عن الخبز.

فتكلمت عن الدقيق والقمح والعجين والمعجنة. إن معرفتي بفن الخبيز كانت تبهرني جدًا، وأنا أذكر له المعايير والمقادير بدقة، وحينما رفعتُ نظري إليه، اندهشت جدًا إذ لم أجده ولا حتى مبتسمًا. وقال: «أنا أريد فقط خبزًا». فرددت عليه مستحسنًا اختياره: «يا سلام، ما أحكمك رجلاً، هلم معي وسأريك مخبزي». وأخذت بيده أطوف به قاعات المخبز الواسعة، متأنيًا عند كل مرحلة وغرفة حيث يُعد العجين، وتُعد الأفران حيث يُخبز الخبز.

ثم أكملتُ الحديث وأنا أدفع أمامي بابًا ذا ضلفتين مروحيتين: «لا أحد مثلي عنده مثل هذه المعدات والتسهيلات. وعندنا أنواع خبز لكل احتياج، أما ههنا فيوجد أفضل قسم، فهذه هي غرفتنا الخاصة حيث يأتيني الإلهام».

كنت أحس أنه مأخوذ بكلامي وشرحي، بينما نحن نخطو معًا إلى داخل القاعة ذات النوافذ المرصعة بالزجاج المُعشَّق.

ولم يتكلَّم الشحات، وأنا فهمت سر صمته. وأحطت كتفيه بذراعي وهمست في أذنه: «وأنا أيضًا مندهش جدًا مثلك». ثم خطوت تجاه المنصة في آخر القاعة، واتخذت عليها موضعي المحبب. وبدأت أتكلم:

«إن الناس يسافرون أميالاً ليسمعونني وأنا أتكلم. ويتجمع عُمالي هنا مرة في الأسبوع لأتلو عليهم من كتاب أصول الخبيز حيث الوصفات لإعداد الخبز».

وحينئذ تقدم الشحات واتخذ مقعدًا في الصف الأول. وأنا عرفت ماذا يريد: «هل تريد أن تسمعني؟» ورد عليَّ: «لا، بل أنا أريد خبزًا».

«يا سلام ما أحكمك رجلاً!»

وقدته نحو الباب الأمامي للمخبز. ثم قلت له ونحن واقفان خارجًا: «ما أريد أن أقوله بعد ذلك هو في منتهى الأهمية:

«اسمع، طوال الطريق وفي كل مدينة ستجد مخابز كثيرة. ولكن احذر، إنهم لا يقدمون الخبز الجيد. أنا أعرف أحدهم يضع معلقتين من الملح بدلاً من ملعقة واحدة. وأعرف آخر يُسخِّن الفرن بزيادة ثلاثة درجات. إنهم يدَّعون أن ما يُقدِّمونه خبزًا، أُحذرك منهم، إنهم لا يخبزون حسب مرجعي: كتاب أصول الخبيز.

والتفت الشحات إلى الوراء يريد الانصراف، فسألته قائلاً: «ألا تريد خبزًا؟»

فتوقف، ونظر خلفه نحوي، وهزَّ كتفيه استخفافًا: «أظن أني قد فقدتُ شهيتي».

وخبطتُ رأسي بيدي وعُدت إلى مكتبي. وأخذت أقول لنفسي: «يا للعار، العالم لم يَعُد جائعًا إلى الخبز الحقيقي الجيد، بل وفقد شهيته نحوه!»

لنا تعليق بعد هذه القصة المعبرة:

كثيرًا ما نعتني بالكلام النظري للنفوس التي أتت لتشبع من المسيح، والنفوس لا يُشبعها الكلام بل كلمة الله نفسه، لهذا ينصرف الناس عن السماع إذ لا يشبعون من الكلام، وفي النهاية إذ لا يجدون عندنا الخبز الحقيقي النازل من السماء، يفقدون شهيتهم إلى كلمة الحياة!

١٧

اعمل عمل المبشر

ذكر أحد الخدام هذه القصة المُشجعة فقال: كنت حاضرًا في أحد الاجتماعات، وأتاني رجلٌ طاعن في السن، وأحكم قبضته على يدي مصافحًا إياي بحرارة قائلاً: أتعلم أنني تجدَّدت بواسطتك. فقلت له: أحقًا! وأين سمعتني أبشر؟ فقال: لم أسمعك، بل كان ذلك بواسطة أحد كتبك التبشيرية الصغيرة، وذلك منذ اثنتي عشرة سنة. كنت وقتها ملحدًا ولا مبالٍ. وفي يوم ما وقبل أن أتناول غذائي رأيت ابنتي الصغيرة جالسة أمام موقد المدفأة تتمايل وتلعب وفي يدها كتيب صغير على وشك أن تمزقه.

فصاحت زوجتي: خذ منها هذا الكتاب ولا تدعها تمزقه. فأخذت الكتيب منها وقرأت عنوانه: «الله يقول إنني خلصت». فقلت لنفسي إنه عنوان غريب. ولا يمكن لأحد أن يقول هذا. ولم أهتم بالغداء ولكنني انتهيت من قراءة هذا الكتاب الصغير وكان سهلاً جدًا، بسيطًا في معناه وملخصه تطلع إلى يسوع فتخلص. ثم أعدت قراءته للمرة الثانية وقلت لنفسي: «إن كان هذا هو كل المطلوب من الإنسان أن يفعله فلماذا لا أخلص أنا؟» وبعد ذلك قرأته للمرة الثالثة، وإذا بالنور الإلهي يشرق في نفسي. فرأيت ما اكتشفته تلك

الفتاة التي يتحدث عنها هذا الكتاب وهي تموت، فقلت مثلها: إنني خاطي مسكين.. يسوع مات لأجلي.. أنا أومن به.. الله يقول إنني خلصت ولذلك عرفت أنني خلصت.

واستدرت لأسأل زوجتي: من أين جاء هذا الكتاب؟ فأجابت: أحضر لنا هذا الصباح صاحب السوبر ماركت كيس فحم كنت قد طلبته، وعندما فككت الكيس وجدت هذا الكتيب موضوعًا فوق الفحم. واستطرد قائلاً: أ ليس هذا أمرًا مدهشًا؟ ولكنني وجدت يسوع وفرحت به من تلك اللحظة. مَنْ وضع الكتاب في الكيس؟ لا أعرف، ولكن الله تحدث إليّ من خلاله.

كم هي عجيبة طرق الله، وكم يكون سعيدًا هذا الشخص الذي وضع الكتاب في كيس الفحم إذا عرف أن هذا كان للتمتع الأبدي لنفس خالدة. ولعل هذه القصة تُبهج وتحمس الذين يقومون بتوزيع النبذ. فإذا كنا نزرع البذار فإن الله سيبارك بالضرورة.

صديقي المؤمن ليت ما سبق وذكرته عن نعمة الله هذه، يحركنا جميعًا لنستمر مجتهدين في عمل الرب. ليت المبشرين والقائمين بتوزيع النبذ، والذين يدعون الآخرين إلى اجتماع تبشيري أن يستمروا في عملهم هذا لأنه عمل حسن.

«إذًا يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب»

(١كو١٥: ٥٨)

١٨

باكو بسكويت سبب خلاص نفس

دخلت سيدة وثنية إحدى محطات القطار في مدينة لاهاي بهولندا وقطعت تذكرة لركوب القطار المتجه لقلب المدينة.. ولما كان موعد القطار يتبقى عليه نصف ساعة قررت دخول الكافيتريا للانتظار هناك وتناول كوب من الشاي.. وقبل دخولها اشترت لنفسها باكو من البسكويت لتتناوله.. ولما كانت الكافيتريا مزدحمة تمامًا فقد استأذنها رجل أن يجلس على المقعد المقابل لها فوافقت فجلس وطلب كوبًا من القهوة.

بدأت السيدة في قراءة جريدتها وهى تشرب الشاي ومدت يدها وتناولت قطعة بسكويت من الباكو المفتوح أمامها، ودهشت عندما وجدت الرجل الجالس أمامها يتناول واحدة هو الآخر، فنظرت إليه ولكنها لم تقل شيئًا وبعد قليل أخذت قطعة أخرى ففعل الرجل مثلها فغضبت جدًا ولكنها لم تقل شيئًا أيضًا.. وهكذا كلما تناولت قطعة يتناول هو الآخر قطعة إلى أن بقيت قطعة واحدة أخيرة ذُهلت عندما وجدت الرجل يكسرها ويقدم لها نصفها وهو يبتسم.. فلم تطق صبرًا وقامت مسرعة بدلاً من التشاجر معه وهى ترمقه بنظرات حادة.. وذهبت إلى رصيف المحطة وفتحت شنطتها لتخرج تذكرتها، وكم كانت دهشتها عندما وجدت باكو البسكويت كاملاً لم تفتحه.

نعم فالرجل لم يكن يأكل من بسكويتها بل هي التي كانت تأكل من البسكويت الذي يخصه.. شعرت بأسف شديد ورجعت لتعتذر له فوجدته يهم بالخروج من الكافيتريا، وبعد اعتذارها له وجدته ما زال مبتسمًا.. فسألته عن مهنته التي تجعله يعامل الناس بكل هذه المحبة والرفق ولا يضجر منهم، فسألته هل أنت طبيب؟ محامي؟ مهندس؟ صحفي؟ وفي كل مرة كان جوابه بالنفي، ولما سألته ماذا أنت تعمل إذًا؟ أجابها أنا مسيحي.. فدهشت جدًا.. وسألته أن يحكي لها عن إلهه هذا الذي يجعله يحب كل الناس، وأخذت تنصت إليه وهو يبشرها بخلاص الرب يسوع المسيح وبعد دقائق قليلة جدًا وبينما هو مسترسل في الحديث قاطعته قائلاً: عزيزي يكفي ما سمعته منك وما نظرته فيك.. إن إلهك هذا الذي جعلك هكذا يستحق أن أعبده، هل ترشدنى إلى الوسيلة التي بها أصبح مثلك مسيحية.

كل هذا ليس بسبب باكو البسكويت فقط بل بسبب ما قاله رب المجد:

«يرى الناس أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذي في السماوات»

(مت٥: ١٦)

١٩

ليست لديّ أية وسائل أخرى

قصة مؤثرة خيالية لم تحدث لكن لها دلالتها تقول: إن الرب بعد أن أكمل عمل الصليب وهو صاعد إلى السماء بدأت الملائكة تلاحظ آثار عمل الصليب حيث أن الرب احتفظ بآثار الصليب حتى في جسد القيامة فسألوه: «ما هذه العلامات التي في جسدك؟»

أجاب: «لقد أحببت البشر فلم أحتمل أن يبقوا في خطاياهم ولم أحتمل هلاكهم فمت عوضًا عنهم على الصليب».

سألوه مرة أخرى: «وهل عرف كل البشر قصة محبتك؟»

أجاب: «الغالبية لم تعرف، القليل منهم آمن، منهم ١١ تلميذًا أغلبهم صيادي سمك دعوتهم ودربتهم وعلمتهم الكثير والكثير وقبل صعودي أوصيتهم كثيرًا أنهم شهودي وأنهم يذهبون للعالم أجمع ويخبرون بالإنجيل».

سألوه مرة أخرى: «ماذا لو هؤلاء التلاميذ رجعوا لصيد السمك أو تقاعسوا عن أداء المهمة التي كلفتهم بها؟ هل لديك أية وسائل أخرى؟»

أجاب وقال: «ليست لديّ أية وسائل أخرى، ومضى متأثرًا بما قالوه وصعد للسماء».

انتهت القصة الخيالية، لكن كلنا نعلم أن التلاميذ لم يتكاسلوا بل فتنوا المسكونة وتعرضوا للقتل في سبيل خدمتهم، ولم تستطع قوة على الأرض أن تثنيهم عن أداء المهمة التي أرسلهم الرب لأجلها.

وماذا عنا؟ هل نتكاسل في أداء دورنا فنُعطل خير روحي الرب يقصد أن يصل به من خلالنا؟

«إذًا يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب»

(١كو١٥: ٢٨)

القسم الثالث: علاقتنا مع الله

٢٠

عيد ميلاد في كوريا

كانت عشية عيد ميلاد قارسة البرودة عام ١٩٥٢ في كوريا. وكانت هناك أم حبلى صغيرة السن، تُدعى «باك يوون»، قُتِل زوجها في الحرب الكورية في الخمسينيات من القرن الماضي، ولم يكن لديها أحدٌ آخر تتَّجه إليه، فراحت تعرج فوق الجليد متجهة إلى منزل صديقة مسيحية طيبة اسمها «مس واطسون»، حيث كانت تعلم أنها ستجد المعونة. وقد تجمَّدت دموع الحزن على وجنتيها، إذ وجدت نفسها وحيدة وحزينة.

وكان هناك في الطريق بالقرب من منزل صديقتها الطيبة قناة عميقة يربط ضفتيها جسر، وبينما «باك يوون» تتعثر قدماها متجهة إلى منزل السيدة الطيبة، فاجأتها آلام المخاض بشدة. فوقعت وأدركت أنه لن يمكنها مواصلة طريقها مرة أخرى، فزحفت حتى نهاية الجسر. وهناك ولدت بمفردها وهي وحيدة، وكان طفلها الذي ولدته ذكرًا.

لم يكن لدى «باك يوون» أي شيء غير ملابسها الثقيلة المبطَّنة التي

ترتديها. فأخذت تخلعها قطعة بعد الأخرى وتلفها حول المولود، وبعد ذلك داهمها الإعياء فرقدت ساكنة على الجليد بجوار ابنها الوليد.

في صباح اليوم التالي، كانت «مس واطسون»، السيدة المسيحية الطيبة التي لها مدة طويلة في كوريا، تقود سيارتها عَبْرَ ذلك الجسر ومعها سلة ممتلئة بالأطعمة كهدية عيد الميلاد لإحدى العائلات المحتاجة. وفي طريق عودتها للمنزل، ولدى اقترابها من الجسر، إذ بالسيارة تقف وذلك بسبب نفاد البنزين.

خرجت «مس واطسون» من السيارة وبدأت تعبر الجسر سائرة على قدميها، وإذ بها تسمع صوت صراخ طفل ضعيف. توقفت للحظة لتتأكد من ذلك الصوت، وإذ بها تسمع الصرخة الخافتة مرة أخرى وكأنها صادرة من تحت الجسر! زحفت «مس واطسون» تحت الجسر لتبحث عن مصدر الصوت، وهناك وجدت ولدًا صغيرًا مُقمَّطًا، كان جسمه دافئًا ولكنه جائع، ووجدت أُم ذلك الطفل متجمدة حتى الموت، فأخذت الطفل معها للمنزل. وبعد أن اعتنت به عادت ومعها بعض المعاونين، حيث حملوا جثمان الأم «باك يوون» إلى قرب المكان الذي كانت تعيش فيه، حيث دفنوها.

أطلقت «مس واطسون» على المولود اسم «سو بارك»، وتبنَّته. كان قويًا وبصحة جيدة، وهكذا نما وسط الكثير من الأطفال اليتامى الآخرين الذين كانت ترعاهم، ولكن «سو بارك» كان ذا منزلة خاصة لديها.

وكثيرًا ما كانت تقول له: «والدتك أحبتك حبًّا عظيمًا يا «سو بارك»، وقد برهنت على حبها العظيم لك بأنها ماتت متجمِّدة لأنها خلعت ثيابها لتلفك

بها». لم يملّ هذا الصبي أبدًا من سماع هذا الكلام مرارًا وتكرارًا عن أمه التي أحبته بهذا المقدار حتى حفظته من الموت للحياة.

وفي يوم عيد الميلاد الموافق لعيد الميلاد الثاني عشر لسو بارك، كان الثلج يتساقط. وبعد أن احتفل الأطفال بعيد ميلاد «سو بارك»، ذهب فجلس بجوار «مس واطسون» وقال لها متسائلاً: «هل تعتقدين أن الله سمح أن سيارتك تفرغ من البنزين ذلك اليوم حتى يمكنك أن تجديني»؟

فأجابته قائلة: «بالتأكيد هو فعل هذا، لأنه لو لم تتعطل السيارة يومها ما كنتُ قد وجدتك. ولكننى مسرورة جدًا أنها توقفت يومها. فأنا أحبك كثيرًا كما أننى فخورة جدًا بك يا سو بارك». ثم أحاطته بذراعيها.

أسند «سو بارك» رأسه عليها وقال: «ماما واطسون، هل تسمحين وتأخذينني إلى مقبرة والدتي؟ فأنا أريد أن أشكر الله من أجلها، وأشكرها أيضًا لأنها وهبتني الحياة».

فقالت له: «نعم، ولكن ارتدِ معطفك الثقيل، فالجو شديد البرودة».

وبجوار المقبرة، طلب «سو بارك» من ماما واطسون أن تتركه وحده وتنتظره بعيدًا. فمشت بعيدًا وانتظرت. وإذا بماما واطسون تملؤها الدهشة وهى تراقب الغلام من بعيد وقد بدأ يخلع ملابسه الدافئة قطعة بعد الأخرى. ظنَّت أنه بالتأكيد لن يخلع كل الملابس! لأنه حتمًا سيتجمد. ولكن الغلام نزع عن نفسه كل شيء، ووضع جميع الملابس على قبر والدته، ثم ركع عاريًا على الجليد وهو يرتجف بشدة من البرد. انتظرت مس واطسون دقيقة ثم دقيقتين. ثم بعد ذلك تقدمت ووضعت يدها على كتف الصبي.

نظر سو بارك إلى مس واطسون، ثم انحنى نحو القبر، وفي حزن عميق صرخ الغلام من أجل والدته التي لم يعرفها على الإطلاق: «هل بردتِ هكذا، بل وأكثر من هذا من أجلي يا أمي»؟ ثم بكى بمرارة، لأنه عرف بالطبع أنها عانت أكثر من ذلك لكي يحيا هو ولا يموت.

هل هذه القصة تُذكِّرك بعمل عمله شخص لأجلك. هل تُقدر ما فعله.

هل كل ذا عني أنا قاسى المسيح ذا العنا

عني الفداء تممَ معطي الحياة منعمًا

«مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي»

(غل٢: ٢٠)

٢١

الصبي حامل الكتب

كان صبي صغير يساعد والده في نقل بعض الكتب من غرفة مكتبه إلى مكان أكثر اتساعًا في البدروم. وكان من المهم للصبي الصغير أن يساعد والده، بالرغم من تباطئه في العمل بسبب صغر سنِّه أكثر من كونه يؤدي مساعدة مثمرة لوالده. لكن هذا الابن كان له أب حكيم وصبور يعرف أنه من المهم أن يؤدي الابن الصغير واجبًا مع أبيه، أكثر من قيامه بهذا العمل بكفاءة.

وكان من بين كتب هذا الرجل، بعض المجلدات الدراسية الكبيرة، وكان أمرًا مرهقًا للصبي الصغير أن يُنزلهم إلى غرفة البدروم. ولكن الذي حدث هو أنه بينما كان يحمل دفعة من هذه الكتب أن وقعت هذه الكتب من بين يديه عدة مرات. وبعدها، جلس الصبي الصغير على درجات السُّلَّم وأخذ يبكي بحرقة. فقد كان يحس بأنه لم يفعل أية خدمة مثمرة على الإطلاق. فهو ليس قوي العضلات حتى يحمل هذه المجلدات الضخمة وينزل بها إلى السلَّم الضيق المؤدي إلى البدروم، وأكثر ما آلمه أنه لم يستطع أن يفعل هذه الخدمة لوالده.

ولكن الأب، ودون أن ينبس ببنت شفة، جمع الكتب المبعثرة على السلَّم، ورتبها ووضعها بين ذراعي ابنه، ثم رفع على منكبيه كلا الاثنين (الصبي والكتب) بين ذراعيه، وحملهما معًا نازلاً على السلَّم الضيق نحو البدروم. وهكذا أكمل الاثنان نقل رُزم الكتب مرة تلو الأخرى، وهما مبتهجَيْن برفقة كل واحد الآخر في إتمام هذا العمل الصعب: الصبي يحمل الكتب، والأب يحمل الصبي!

ألاَ تجد، أيها القارئ العزيز، في هذه القصة نموذجًا لِمَا يعمله الله معنا؟ فنحن أصغر وأضعف من أن نتمِّم عمل الرب ونكمِّل واجباتنا نحوه. والمسيح إذ يعرف ضعفنا، ويحس بأنيننا بسبب تقصيرنا في ذلك، حَمَلَنا في جسده وجعلنا كأننا نحن الذين نعمل ونجاهد ونتألم، بينما هو حاملنا.

ألاَ يدعونا هذا الجود والفضل من جانب الله، أن نقدِّم له التسبيح الدائم والشكر المتواصل كل يوم، وفي كل ضيقة أو محنة أو ألم أو إخفاق أو ظلم يحيق بنا؟ عالمين أننا لسنا نحن الذين نحمل كل هذا، لكن المسيح هو الذي يحملنا نحن وما نحمله، ليعبُر بنا إلى بَرِّ الأمان.

وهذه هي وعود الله:

«أستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويني» (في٤: ١٣)

«وأنا حملتكم على أجنحة النسور، وجئتُ بكم إليَّ»

(خر ١٩: ٤)

٢٢

ثق في محبة أبيك

كان أحد الشباب يستعد للتخرج من كليته. ولشهور عديدة كان معجبًا بسيارة اسبور (رياضية) في معرض للسيارات، ولعلمه أن والده لديه الإمكانيات ويمكنه تقديمها له، أخبر والده عنها وقال إنها كل ما يريد.

وعندما اقترب يوم التخرج انتظر الشاب دلائل على قيام والده بشراء السيارة. وأخيرًا، في صباح يوم التخرج ذاته، استدعاه والده لحجرته الخاصة، وأخبره كم هو فخور بأن له مثل هذا الابن الرائع، وأخبره كم هو يحبه. ثم قدّم له صندوق هدايا ملفوفًا في غلاف جميل.

في فضول، وفي إحساس ببعض من خيبة الأمل، فتح الشاب صندوق الهدية ليجد كتابًا مقدسًا ذا غلاف جلدي فاخر، منقوشًا عليه اسم الشاب بالذهب. في غضب رفع الشاب صوته مخاطبًا والده وقال: «مع كل غناك الطائل، فهل كل ما تعطيني هو كتاب مقدس؟» وخرج كالعاصفة من المنزل ولم يعد أبدًا.

مرت سنوات عديدة ونجح الشاب نجاحًا باهرًا في عمله. وصار له منزلاً

جميلاً وعائلة رائعة، ومع إدراكه أن والده تقدّم في العمر، وربما فكر أنه ينبغي عليه أن يزوره. لكنه لم يره أبدًا من يوم تخرجه.

وقبل أن يدبر لقاء مع والده، تسلّم برقية تخبره أن والده قد توفي، وأنه قد أوصى له بكل ممتلكاته. وأن الأمر يستدعي ذهابه لمنزل والده ليهتم بالأمور.

وعندما وصل منزل والده، امتلأ بحزن مفاجئ وندم قلبه. وبدأ يبحث في أوراق والده الهامة ووجد الكتاب المقدس الذي كان قد أهداه له والده ملفوفًا كما هو، كما كان قد تركه منذ سنوات مضت. وقد وضع والده بعناية خطًا تحت الآَية المذكورة في متى٧: ١١ «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه»، وحينما رفع الكتاب المقدس ليقرأ هذا العدد من إنجيل متى، إذ بمفتاح سيارة يسقط من خلف الكتاب، وبه لافتة بها اسم المعرض الذي اُشتريت منه السيارة، نفس المعرض الذي كانت به السيارة الاسبور التي كان يرغبها. وعلى اللافتة مكتوب أيضًا تاريخ تخرجه، ومكتوب أيضًا خالص الثمن.

تُرى كم من المرات تغافلنا نحن عن بركات الله، لأننا لم نتمكن من التجاوز عن رغباتنا الخاصة؟

«لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم»

(إش٥٥: ٩)

٢٣

أبي ليس تاجرًا لكنه ملك

حدث منذ سنوات طويلة أن أرملة فقيرة كان عندها طفل وحيد، وكان مريضًا جدًا فأخبرها البعض أنه في حاجة إلى نوع معين من العنب. فبحثت عنه في السوق ولما لم تجده صارت حزينة جدًا. وفجأة تذكرت أن هذا النوع من العنب يزرع في حديقة قصر الملك.

فأخذت المال القليل الذي تبقى معها إلى قصر الملك لتشتري العنب، ولكنها عندما أخبرت الجنايني بقصتها ضحك وقال لها: هذا العنب ليس للبيع. ففكرت في نفسها قائلة ربما لم أقدم المال الكافي.

فرجعت إلى البيت لتبحث عن المزيد وهي متأكدة أن الجنايني سوف يبيع لها هذا العنب إذا قدمت له مالاً أكثر، ثم توجهت إليه وعرضت عليه المال الإضافي الذي أحضرته، ولكنه مرة أخرى رفض أن يبيع لها العنب ثم طلب منها أن تذهب ولا تعود تزعجه مرة أخرى.

في هذه اللحظة خرج –ابن الملك– إلى الحديقة فسمع كلمات الجنايني الموجه للمرأة، فنظر إليها وسألها ماذا في الأمر، فأجابت المرأة أن ابنها يحتاج

إلى نوع خاص من العنب ولا يوجد سوى في القصر الملكي وها قد أحضرت كل ما تمتلكه من مال ولكن الجنايني يرفض أن يبيع لها.

فقال الأمير لها: «يا عزيزتي أبي ليس تاجرًا ولكنه ملك وهو يُسره أن يعطي بدون مقابل»، ثم أعطى المرأة مقدارًا من العنب بقدر ما استطاعت أن تحمل.

يظن الكثيرون أنهم يستطيعون شراء الخلاص بالمال أو بالأعمال، ولكن خلاص الله لا يباع لأن المسيح مات لكي يمنح الخلاص مجانًا لكل مَنْ يتوب عن خطاياه ويضع ثقته فيه.

«وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا»

(رو٦: ٢٣)

«مَنْ يُرد فليأخذ ماء حياة مجانًا»
(رؤ٢٢: ١٧).

«تعالوا.... هلموا بلا فضة وبلا ثمن»
(إش٥٥: ١)

٢٤

سبب الرجاء

في عام ١٩٥٢، وفي شهر مايو، احتفلت امرأة في جنوب أفريقيا، في قرية بارو، بعيد ميلادها العاشر بعد المائة. ويقول لنا أهل الاختصاص أن نسبة مَنْ يصل إلى هذا العمر من البشر لا يزيد عن واحد لكل مائة مليون نسمة! ولا عجب فقد كان لهذا الخبر وقع البركان في جميع أركان جنوب أفريقيا. ولا غرابة فإن كل الصحف وقتذاك قد تناولته على صفحاتها الأولى. ومن تلك الصحف صحيفة «كيب تاون» التي أرسلت مُراسلها خصيصًا ليُجري حديثًا مع هذه السيدة العجوز. وهناك خمسة أسئلة غالبًا ما يُلقيها الصحفي في مثل هذه المناسبات:

(١) هل مازلتِ تبصرين جيدًا؟

(٢) هل مازالت حاسة السمع على ما يُرام؟

(٣) هل مازلتِ تأكلين جيدًا؟

(٤) هل مازلتِ تنامين جيدًا؟

أما السؤال الأخير والأكثر أهمية (٥) فكان كالآتي: أخبرينا بعض الشيء عن ذكريات شبابك.. ذكريات ماضيكِ البعيد والقريب من تجارب الحياة.

انتهت الأسئلة، وطال الانتظار، وخيَّم على المكان صمت قاتل إذ لم تلفظ المرأة ببنت شفة لفترة غير قصيرة. وفجأة انكسر جدار الصمت، وجاءت إجابة المرأة بخلاف ما كان يتوقعه أحد:

«طلبتي من إلهي دائمًا أن يمحو كل ذكرياتي الماضية، لكي أنشغل به وبشخصه الكريم وحده، ولكي أتأمل في نعمته المنقطعة النظير وفي كمالاته غير المحدودة، وأتفكر في محبته الفائقة المعرفة التي تبرهنت بموته على الصليب لأجلي!»

إن كلمات هذه المرأة التقية كانت بمثابة قنبلة دَوَت في كل أركان جنوب أفريقيا. لم تكن هناك صحيفة أو جريدة إلا ونقلت هذه الكلمات حرفيًا على صفحاتها الأولى، حتى صارت بعض الألسنة من جموع الشعب ترددها بين الحين والآخر!

نعم: «لكي أنشغل بسيدي وبه وحده»! يا لها من كلمات حلوة مباركة! يا لها من كلمات دسمة مُثمرة! يا لها من كلمات رحيقها ناردين خالص! إنها إجابة قصيرة، لكنها إجابة غنية!! يا ليتها تكون لو تأنى الرب هي إجابتي وإجابتك حتى نهاية العمر.

٢٥

اللؤلؤ الغالي الثمين

أحضر الوالد صندوقًا مملوءًا من اللؤلؤ الغالي الثمين جدًا ووضعه أمام أولاده الثلاثة الذين يحبهم جدًا وقال لهم: «يا أولادى إني أحبكم جدًا لذلك قررت أن أهب لكم هذا الصندوق»، وفتحه الأب أمام الأولاد وقال لهم: «يا أحبائي الآن كل واحد منكم يأخذ بملء كفيه من الصندوق على قدر ما يستطيع، على شرط أن يأخذ مرة واحدة فقط».

وكانت الفرصة كبيرة أمام الابن الأكبر الذي كان له كفان كبيران جدًا والذي بدأ وأخذ ملء يديه الكبيرتين لؤلؤًا، ثم جاء بعده الابن الأوسط الذي له كفان كبيران أيضًا وأخذ قدرًا كبيرًا من اللؤلؤ، ثم جاء دور الابن الأصغر الذي نظر إلى يدي أخويه كيف هي كبيرتين ثم نظر إلى يديه فوجدهما صغيرتين جدًا، فركض إلى حضن أبيه وسأله: «أبي هل تحبني؟»

أجاب الأب: «أحبك جدًا يا ابني».

أجاب الابن: «إذًا يا أبي إني لا أريد أن أخذ نصيبي بنفسي، هل من الممكن أن تعطيني أنت نصيبي بيدك أنت؟»

نظر الأب الى الابن وأغلق الصندوق وأعطى كل ما فيه للابن الصغير.

صديقي لقد اختار الابنان الآخران الاعتماد على نفسيهما في الاختيار بدون الرجوع الى أبيهما، بينما ذلك الابن الصغير هو الذي أحس باحتياجه الحقيقي للأب فلجأ إليه وسلمه أمره وطريقه، فما كان من الأب إلا أن يعطيه كل ما له.

أنا وأنت كل يوم نعتمد على قوانا الضعيفة دون الرجوع الى الله؛ لذلك فإننا كثيرًا ما نختار الاختيار الخاطئ وذلك لكوننا ضعفاء؛ ولكن دعنا ندعو ربنا يسوع المسيح ليتقدمنا في اختياراتنا.. في أحلامنا وفي طموحاتنا وفي كل شيء لأنه قادر أن يفعل أكثر مما نطلب، أو نفتكر وقادر أن يمنحنا أكثر مما نحلم.

«القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا»

(أف٣: ٢٠)

٢٦

محبة القلب

ذهب أحد الرحالة قديمًا في رحلة ليستكشف بقعة جديدة من الأرض وفي تجواله وجد عين ماء، وعندما تذوقه وجد أنه لم يتذوق ماء في مثل عذوبته! ولما زاد إعجابه بهذا الماء أصر أن يأخذ بعضًا منه للملك الذي يحبه جدًا. فملأ قربة من الجلد بهذا الماء وحملها متابعًا رحلة العودة إلى موطنه، وعند وصوله مدينته كان أول ما فعله أن أسرع إلى الملك ليُقدم له ما حمله إليه وهو يقص عليه القصة. فتذوق الملك الماء بسرور مبديًا امتنانًا عظيمًا للرحالة. ومضى الرجل سعيدًا لأنه أرضى ملكه، وبعدما خرج من عند الملك تذوق بعض الموجودين الماء فوجدوا أن طعمه قد أصبح سيئًا بسبب الإناء الذي وضع فيه وبسبب طول الرحلة. فسألوا الملك: كيف تذوقت هذا الماء بإعجاب؟ فكان رد الملك: «لم أكن أتذوق الماء، بل كنت أتذوق محبة هذا الرجل التي دفعته إلى أن يحمل الماء إلى هنا».

أخي إن الرب يقيس ما تُقدمه له بدافع المحبة التي قدمت، لا بحجم ما قدمناه ولا بكفاءتنا في تقديمه، أروع ما يتذوقه الرب منا هو محبة القلب.

(من فضلك اقرأ قصة أبطال داود في ٢صم ٢٣: ٢٣- ٢٧)

القسم الرابع: علاقتنا بعضنا ببعض

٢٧

النجار والأخوان المتخاصمان

كان أَخوان يعيشان في مزرعتين متجاورتين؛ لكنهما وقعا في نزاع معًا. وكانت هذه هي العثرة الخطيرة الأولى على مدى ٤٠ عامًا بين الأَخوين اللذين يعيشان في مزرعتين متجاورتين، يشتركان معًا في استخدام المعدَّات، ويبيعان إنتاج مزرعتيهما، ويشتركان في الأرباح بدون أي نزاع. لكن هذه المحبة الأخوية طويلة الأمد تمزَّقت فجأة. وقد كانت البداية سوء فهم في أمر عادي، ثم تطوَّر سوء الفهم إلى خلاف كبير، ثم تفجَّر الخلاف إلى تبادُل الكلمات الصعبة، وانتهت بانعزال الواحد عن الآَخر.

وفي أحد الأيام، وعند الصباح، طُرِق باب بيت الأخ الأكبر «جون». ففتح الباب ووجد رجلاً يحمل أدوات النجارة. وقال الطارق لجون: «إني أبحث عن أي عمل يستغرق بضعة أيام. فربما يكون عندك بعض الأشغال القليلة هنا وهناك، فأنا أقوم بها».

فردَّ الأخ الأكبر: «نعم، أنا عندي عمل لك. انظر من خلال هذا السور الخشبي القصير إلى تلك المزرعة المجاورة، فهناك جاري. وفي الحقيقة، هو أخي الأصغر. وقد حدث في الأسبوع الماضي أنه أفسد المرعى الذي بيننا،

إذ هدم بالبولدوزر السد الذي عند النهر، مما ترتَّب عليه وجود جدول مائي (ترعة صغيرة) بين مزرعتينا. وإنه كما يبدو كان يقصد أن يُغيظني، ولكني سأُريه كيف أرد عليه. انظر إلى أكوام «الكراكيب» المُلقاة بجانب مخزن الغلال! فأنا أريدك أن تصنع لي سورًا يبلغ ارتفاعه مترين ونصف حتى لا أرى مزرعته مرة أخرى. اجعله يحسُّ بعدم اكتراثي به.

قال له النجّار: «نعم، لقد فهمت الموقف. هات لي المسامير والخشب لكي يمكنني أن أعمل شغلاً يُرضيك».

وذهب الأخ الأكبر إلى سوق المدينة، وأتى للنجار بطلباته ليبدأ العمل. وبدأ النجار يعمل باجتهاد طيلة النهار. يقيس وينشر الخشب ويدق المسامير. وعند الغروب، وحينما عاد الأخ الأكبر، كان النجَّار قد انتهى من العمل لتوِّه.

ونظر المزارع (الأخ الأكبر) ما عمله النجار. وفتح فاه مشدوهًا، وصرَّ على أسنانه. فلم يكن ما عمله النجار سورًا أو حاجزًا على الإطلاق؛ بل كان جسرًا يمتد من جانب بالقرب من مخزن الغلال، إلى مخزن غلال المزرعة الأخرى! ولكن الجسر كان قطعة فنية رائعة، ودرابزينًا ينطق بمهارة النجار.

أما الجار – الأخ الأصغر – فإذا به يقف على الجانب الآخر من الجسر وقد مدَّ يديه لشقيقه الأكبر قائلاً: «كم أنت كريم يا أخي، حتى تصنع هذا الجسر بعد كل ما بَدر مني وما صنعتُه».

ووقف الأَخوان على طرفي الجسر، ثم تقابلا عند منتصفه وقد سلَّما الواحد على الآخر، وقبَّلا أحدهما الآخر. ثم التفتا ليريا النجار إذ به يُعبِّئ صندوق أدواته ويحمله على ظهره منصرفًا.

وناداه الأخ الأكبر قائلاً: «لا، انتظر! فلتبقَ في ضيافتي أيامًا قلائل».

أما النجار فردَّ عليه: «لكن عندي الكثير من الجسور لا بد أن أبنيها لآخرين أيضًا».

«وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية. مُقدِّمين بعضكم بعضًا في الكرامة»

(رو ١٢: ١٠)

«المحبة لا تسقط أبدًا»

(١كو ١٣: ٨)

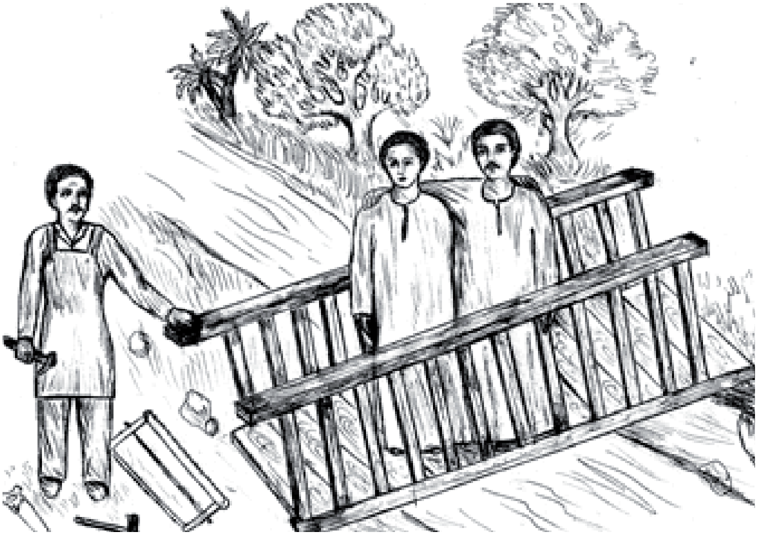

٢٨

الزرع والحصاد

اضطر رجل هرم أن يعيش مع ابنه وزوجة ابنه وحفيده البالغ من العمر ٤ سنوات. كانت يدا الجد ترتعشان (مرض الرعاش)، وبصره كان مشوَّشًا، وخطواته مترددة. وحينما كان يجلس على المائدة مع الأسرة ليأكلوا، كانت يدا الجد المرتعشتين وبصره الضعيف يجعلان من الأكل أمرًا صعبًا. فكانت حبيبات الأرز تسقط من الملعقة على الأرض. وحينما يهمُّ بالإمساك بكوب اللبن، كانت قطرات اللبن تنسكب على مفرش المائدة. أما ابنه وزوجته فكانا يغتاظان من هذا التشويش، فقال الابن:

«لابد أن نفعل شيئًا له، فلم أَعُد أحتمل الكثير من اللبن المسكوب، والضوضاء أثناء أكله، والطعام المتساقط على الأرض».

لذلك خصَّص الابن وزوجته منضدة صغيرة في أحد أركان الغرفة بعيدًا عنهما، لكي يأكل الجد عليها وحده، بينما تتمتع الأسرة وحدها بتناول الطعام.

ولأن الجد كان قد كسر صحنًا أو اثنين، فقد بدأوا يغرفون الطعام الخاص

به في وعاء من الخشب. وحينما كانت الأسرة تلتفت إلى اتجاه الجد، كانوا يرونه أحيانًا وقد اغرورقت عيناه بالدموع لعزله وحيدًا عن الأسرة.

والكلمات الوحيدة التي كان الزوجان يوجهانها له، كانت عبارة عن تعليمات حادة، حينما تقع منه شوكة أو بعض الطعام على الأرض.

أما طفلهما ابن السنوات الأربع فكان يُراقب كل هذا في سكون. وفي إحدى الأمسيات وقبل تناول العشاء لاحظ الزوج أن ابنه الصغير يلعب ببعض قطع الخشب على الأرض، فسأل صغيره بلطف: «ماذا تفعل؟»

وبلطف أيضًا رد الطفل على والده: «إني أصنع وعاءً صغيرًا من الخشب، لك ولأمي، لتأكلا طعامكما فيه، حينما أكبر وأصير مثلكما»!

وابتسم طفل السنوات الأربع، وعاد إلى ما كان يعمله. أما كلماته فكانت كوقع الصاعقة عليهما، حتى إنهما لم ينبسا ببنت شفة.

وفي ذلك المساء أمسك الزوج بيد أبيه «الجد» وقاده إلى مائدة الأسرة مرة أخرى. وظل الجدُّ طيلة ما تبقَّى من حياته يأكل وجباته مع الأسرة. ولم يَعُد الزوج والزوجة يبديان أي اهتمام بوقوع ملعقة أو شوكة على الأرض، أو بانسكاب اللبن، أو باتساخ مفرش المائدة.

فليعلم الآباء والأمهات أن الأطفال شديدو الملاحظة، وأعينهم تراقب، وآذانهم تلتقط كل كلمة بل كل همسة؛ أما أذهانهم فهي دائمًا تبعث رسائل بانطباعاتهم تحفظها أذهانهم. فإن شاهدونا صبورين، فإن ذلك يُهيِّئ جوًا من السعادة على كل أفراد الأسرة، فيقتدون بذلك طيلة أيام حياتهم.

والوالدون الحكماء يعملون على أن توضع حجارة بناء نفوس أبنائهم بحرص كل يوم لصالح مستقبل أطفالهم.

فلنكن بنَّائين حكماء! ولنتذكر أيضًا المبدأ الكتابي:

«لا تضلوا الله لا يشمخ عليه فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا»

(غل٦: ٧)

٢٩
تذكّر

في يوم هادئ، جلس الرجل العجوز ذو الثمانين عامًا بجانب ابنه الذي لم يبلغ عامه الأربعين في حديقة المنزل، وإذ به يرى عصفور كناري جميل يطير أمامهم في الحديقة. فسأل العجوز ابنه: «ما هذا؟ » فرد عليه الابن وهو لا يزال يقرأ في الصحيفة الممسك بها: «إنه عصفور.. عصفور كناري».

وبعد برهة من الصمت، عاد العجوز وسأل ابنه: «ما هذا؟» فرد الابن مندهشًا: «إنه عصفور كناري، ألم تسمعني منذ برهة؟» واستمر في قراءة صحيفته غير مهتم.

صمتا الاثنان لبعض الوقت، وعاد الأب يسأل ابنه مشيرًا هذه المرة إلى عصفور كناري آخر أخذ يطير بجانبهم: «ما هذا؟» فتحول الابن عن الصحيفة ناظرًا لوالده في دهشة: «لقد قلت لك إنه عصفور كناري».

سكت الأب بدون أن ينظر إلى ابنه وظل يفكر لبعض الوقت ثم عاد ليسأل ابنه للمرة الرابعة: «ما هذا؟»

ألقى الابن الصحيفة التي كان يقرأها وأخذ يصرخ: «إنه عصفور كناري... عصفور كناري ألا تفهم؟! إنه عصفور كناري..».

صمت الأب ونظر الى الأرض ثم دخل الى المنزل وعاد وبيده كراسة قديمة جدًا مفتوحة على صفحة معينة وأعطاها لابنه وهو يقول: «اقرأ... بصوت مسموع...».

أخذ الابن الكراسة وقرأ: اليوم كان ابني الذي لم يبلغ عامه الثالث بعد يلعب في الحديقة، وعندما رأى عصفور كناري يطير هنا وهناك سألني: «أبي.. ما هذا؟» فأجبت: «إنه عصفور كناري.. ألا ترى أنه جميل جدًا؟» ولم تمضِ خمس دقائق حتى جاء إليّ وسألني: «أبي... ما هذا؟» فأخذت أُقبله وأنا أقول له: «إنه عصفور كناري.. أليس جميلاً؟» استمر يسألني نفس السؤال أربعة وعشرون مرة وفي كل مرة كنت أقبله وأقول له نفس الإجابة... لم أشعر أبدًا بالمضايقة إنما كنت سعيدًا فى كل مرة أُجيبه فيها وأرى ابتسامته العذبة فأُقبله واحتضنه فى كل مرة.

أغلق الابن الكراسة ونظر لأبيه الذي كان ينظر لابنه بنفس تلك الابتسامة.. وبكل الحب احتضن الابن والده العجوز وهو يقول: «أنا آسف يا أبي... أنت تعلم كم أحبك.. أنا آسف....».

لقد وددت أن أكتب تعليقًا بسيطًا على هذا المشهد ولكني في النهاية فضلت أن أترك لكل منا أن يفكر ويشعر كم يحب والديه. إن الوالدين عند الكِبر يحتاجان الى الحب أكثر من الأطفال.. فتذكر هذا المشهد لتعرف كيف تحبهم.

«أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض»

(خر ٢٠: ١٢)

٣٠

المصفاة المثلَّثة

لقد اشتُهِرَ عن رجلٍ حكيم أنه يحمل في نفسه معرفة فائقة. فقابله -يومًا ما- أحد معارفه، فطفق يقول له: «ألاَ تعلم ما سمعته حالاً عن صديقك (...)».

فأجابه الرجل الحكيم: «مهلاً، دقيقة من فضلك! فقبل أن تُخبرني بأي شيء، فإني أريد أن تَعْبُر على اختبار صغير.. إنه اختبار «**المِصفاة المثلَّثة**»!

فردَّ عليه متعجِّبًا: «المِصفاة المثلَّثة»؟!

فأكمل الرجل الحكيم كلامه قائلاً: «نعم، فقبل أن تُخبرني عن صديقي، فمن المستحسن أن تتمهَّل للحظة وتُصفِّي ما تنوي أن تقوله. وهذا هو السبب الذي أطلقت عليه اسم اختبار «المِصفاة المثلَّثة».

واستطرد قائلاً: «فأول مِصْفاة هي «**صِدْق ما ستقوله**». فهل أنت متأكِّد تمامًا ومطلقًا بأن ما تنوي أن تقوله هو حقيقي»؟

فردَّ الرجل: «لا، فالحقيقة أني سمعتُ عن ذلك، و... ».

فقاطعه الرجل الحكيم قائلاً: «حسنًا جدًا، إذن، فأنت لا تعرف ما إذا كان

ما ستقوله حقيقة أم لا. والآَن، هلم نجرِّب المِصفاة الثانية، إنها «**الصلاح**»، أي نوعية الخبر: خبر سار أم خبر سيِّئ. فهل ما تنوي أنت أن تُخبرني به عن صديقي أمر صالح أم لا»؟

«لا، على العكس... ».

وقاطعه الرجل الحكيم مرة أخرى، واستطرد في الحديث قائلاً: «إذًا، فأنت تريد أن تُخبرني بأمر سيِّئ عنه، كما أنك لستَ متأكدًا ما إذا كان حقيقة! وما زال عليك أن تَعبر على الاختبار الثالث: «**مِصفاة النفع**». فهل ما أنت تريد أن تُخبرني به عن صديقي سيؤول لي إلى نفع أم لا»؟

«لا، ليس بذي نفع لك».

وأكمل الرجل الحكيم حديثه: «فإذا كنت تريد أن تُخبرني بما ليس هو حقيقة، ولا صالح، ولا حتى نافع لي؛ فلماذا تُخبرني به أصلاً»؟

وانصرف الاثنان.

«الغبي يُصدِّق كل كلمة»
(أم ١٤: ١٥)

«لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين»
(أف٤: ٢٩)

٣١

كلما زاد عطاؤنا..

ذات يوم أمر ملك بوضع حجر كبير وثقيل في أحد الطرق العامة الرئيسية، ثم كلّف بعضًا من رجاله ليراقبوا سرًا ما يحدث.. مَنْ الذي سيهتم ويقوم بإزاحة هذا الحجر.

كثيرون رأوا هذا الحجر وتذمروا قائلين: «لماذا لا يهتم المسئولون بالطرق؟ لماذا يتركون الأمر هكذا؟» لكن أحدًا منهم لم يحاول أن يرفعه.

أخيرًا أتى رجل، رأى الحجر فاندفع بحماس وبذل جهدًا كبيرًا فنجح أخيرًا في إزالته.. اندهش الرجل جدًا، إذ وجد في مكان الحجر المرفوع قطعة من الذهب، وبجوارها ورقة كُتب عليها: «هذا الذهب يقدمه الملك إهداءً منه للرجل الذي اهتم بإزالة الحجر».

كثيرون لا يعبأون بمشاكل الآخرين، ولا تثير اهتمامهم احتياجات الناس، كثيرون لا يفكرون إلا في ذواتهم.. يهربون من بذل المجهود من أجل الغير، يظنون أن الراحة هي في الابتعاد عن المتاعب التي تجلبها خدمتهم للآخرين.

كثيرون يعيشون لأنفسهم فقط، لا يكترثون بما يقع لغيرهم من آلام، يكتفون بتحليل المواقف وإبداء النقد وربما ببعض كلمات المشاركة التي لا تكلفهم شيئًا.

لكن الذي عرف حقًا حب الرب يسوع له لا يقدر أن يظل واحدًا من أولئك.. الذي عرف حب الرب يسوع وسمح له أن يهيمن على كل حياته هو بالفعل شخص مختلف.. إنه كهذا الرجل الذي اهتم برفع الحجر.. لا يعرف إلا أن يبذل ويبذل من أجل خير الآخرين وراحتهم.

الرب يسوع في مركز حياة هذا الشخص، يشع فيها بحبه، يعطيها أن تكون حياة مختلفة.. حياة مبذولة بفرح من أجل الآخرين.

وماذا؟

كل حجر نُسهم في إزالته من أمام الآخرين، يحمل لنا غمرًا من الفرح..

وكل دمعة نمسحها من عين باكٍ، تعود لنا بفيض جديد من البهجة..

وكلما زاد عطاؤنا زادت أفراحنا بالملك الذي علّمنا طريق الحب والعطاء.

«احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح»
(غل٦: ٢)

٣٢

حذاء غاندي

لو سقطت منك فردة حذاء.. واحدة فقط.. أو مثلاً ضاعت فردة حذاء.. واحدة فقط؟ ماذا ستفعل بالأخرى؟

يُحكى أن غاندي كان يجري بسرعة للحاق بقطار... وقد بدأ القطار بالسير، وعند صعوده القطار سقطت من قدمه إحدى فردتي حذائه، فما كان منه إلا أن خلع الفردة الثانية وبسرعة رماها بجوار الفردة الأولى على سكة القطار، فتعجب أصدقاؤه وسألوه: «ما الذي حملك على ما فعلت؟ لماذا رميت فردة الحذاء الأخرى؟»

فقال غاندي الحكيم: «أحببت للفقير الذي يجد الحذاء أن يجد فردتين فيستطيع الانتفاع بهما، فلو وجد فردة واحدة فلن تفيده ولن أستفيد أنا منها أيضًا».

نريد أن نعلِّم أنفسنا هذا الدرس أنه إذا فاتنا شيء فقد يذهب إلى غيرنا ويحمل له السعادة، **فلنفرح لفرحه ولا نحزن على ما فاتنا، فهل يعيد الحزن ما فات؟**

كم هو جميل أن نحول المحن التي تعترض حياتنا إلى منح وعطاء، وننظر إلى الجزء الممتلئ من الكأس وليس الفارغ منه.

نعل الملك

يحكى أن ملكًا كان يحكم دولة واسعة جدًا أراد هذا الملك يومًا القيام برحلة برية طويلة. وخلال عودته وجد أن قدميه تورمتا بسبب المشي في الطرق الوعرة، فأصدر مرسومًا يقضي بتغطية كل شوارع مدينته بالجلد، ولكن أحد مستشاريه أشار عليه برأي أفضل وهو عمل قطعة جلد صغيرة تحت قدمي الملك فقط. فكانت هذه بداية نعل الأحذية.

إذا أردت أن تعيش سعيدًا في العالم فلا تحاول تغيير كل العالم بل اعمل التغيير في نفسك، ومن ثم حاول تغيير العالم بأسره.

٣٣

ارم خبزك

سمع فلاح صراخ صبي يأتي من مكان بعيد واستمر الصراخ، فأسرع الفلاح ووجد صبيًا يغوص في بحيرة من الوحل وسط دوامة موت تبتلعه، فما كان من هذا الفلاح إلا أن خلع ثيابه وألقى بنفسه معرضًا نفسه للموت بغية إنقاذ الغلام الصغير وبصعوبة شديدة وفقه الرب في إنقاذه.

ومرت أيام قليلة وإذ بعربات تقف عند كوخ هذا الفلاح وأناس يسألون عنه.

- هل أنت الفلاح فلمنج؟

- نعم أنا.

- هل أنت الذي أنقذت صبيًا منذ أيام من دوامة الوحل؟

- نعم أنا.

- فقال الرجل للفلاح أنا اللورد والذي أنقذته هو ابني وأنا أعطيك أي مبلغ تطلبه من المال من أجل ما فعلت لإنقاذ ابني.

– أجاب الفلاج فلمنج: أنا لا أخذ أجرًا لما فعلت، فالرب يسوع علمني أن أحب الناس وأخدم الجميع بدون أجرة، فقد مات المسيح عني وأسدى لي أعظم خدمة مجانًا وهو أوصاني قائلاً: مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا، وفي هذه اللحظة ظهر صبي خارجًا من كوخ الفلاح.

– فسأل اللورد: إن كان هذا ابن الفلاح.

– فقال الفلاح: نعم

– فقال اللورد: والآن هل تسمح لي بأن أتولى بنفسي مسئولية تعليم ابنك حتى يتخرج من الجامعة وسأقوم أنا بدفع النفقات.

رضي الفلاح بهذا العرض. ومرت الأيام وابن الفلاح ينهي تعليمه الابتدائي والثانوي والجامعة حتى أصبح طبيبًا، وقد تخرج من مدرسة الطب بمستشفي سانت ماري بلندن وصار السير دكتور الكسندر فلمنج مكتشف البنسلين.

وبعد هذا الاكتشاف مرض ابن اللورد بالتهاب رئوي شديد، وكان الالتهاب الرئوي في تلك الأيام مرضًا مميتًا إذ لم توجد مضادات حيوية والذي أنقذ ابن اللورد هو البنسلين.

ومرت الأيام وأصبح ابن اللورد هذا هو السير ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الذي استخدمه الله في حكمته لإنقاذ العالم في الحرب العالمية.

وهذا يذكرنا بعمل بسيط قام به أندراوس إذ وجد سمعان أخاه وجاء به إلى يسوع.. وبعد أكثر من ثلاث سنوات نرى سمعان بطرس وهو يأتي بثلاثة آلاف نفس للمسيح في عظة واحدة.

٣٤

الحساسية وانتقاد الآخرين

احتدم الصراع قديمًا بين أميرين في الهند، وأخيرًا حسمت المعارك لصالح واحد منهما. وكانت العادة أن يجلس الأمير المنتصر فوق فيل ضخم ويتحرك به في شوارع مدينته وأمامه موكب من أسراه يسيرون قدامه عراة الأقدام.. وقبل أن يتحرك الموكب دار بين الأمير المنتصر وابن المهزوم هذا الحوار:

– اخلع ثياب المُلك وسر أمامي حافي القدمين مثلك مثل بقية الأسرى.

– كيف يحدث لي هذا؟ كيف أسير حافي القدمين؟ أي كلمات سخرية سوف أسمعها.

– بل أكثر من هذا، سوف تحمل هذا الإناء الممتلئ باللبن حتى حافته، وسوف يسير بجوارك واحد من حراسي الأخصَّاء.. سوف تقطع رأسك في الحال إذا سال منك اللبن إلى الأرض ولو قطرة واحدة منه!!

وسار الموكب في شوارع المدينة، ونجح ابن الأمير المهزوم في أن يحفظ حياته فلم يدع قطرة واحدة تسقط منه، وأحضروه مرة أخرى أمام الأمير المنتصر. ثم سُئل:

- ماذا كان شعورك وأنت تسمع كلمات السخرية والتعيير من الجماهير المحتشدة؟

- كلا لم أسمع شيئًا.. لقد كنت بجملتي منشغلاً في إناء اللبن الذي سيحدد مصيري.

صديقي.. هل أنت حساس لكلمات الناس التي تنتقدك؟ هل هذه الكلمات تجرح مشاعرك؟ هل تفقدك فرحك؟ هل تثبط عزيمتك؟ هل تعطِّل انطلاقك في الحياة مع الله؟

أريك أحسن الطرق للتحرر من تأثير الحساسية الضار، افعل مثلما فعل ابن الأمير المهزوم.. انشغل بالأمور المصيرية الأعظم.. انشغل بأمور السماء.. انشغل بربح النفوس للأبدية، انشغل بامتلاك أرض تُسيطر عليها مملكة الظلمة.

انشغل بالرب يسوع.. نعم، قد يُكثِر الناس من كلماتهم الجارحة أو تلك التي تحمل اليأس في ثنياها. لكن كلا، لن يصل إلى قلبك شيء منها، ولن يقدر أن يعطل سلامك ما دمت منشغلاً بأمور الرب الأعظم. نعم ستقدر أن تردد دائمًا كلمات الرسول بولس:

«أما أنا فأقل شيء عندي أن يحكم فيَّ منكم،
أو من يوم بشر»
(١كو٤: ٣)

٣٥

اكتبوا آلامكم على الرمال

كان هناك صديقان يمشيان في الصحراء، وخلال الرحلة تجادل الصديقان فضرب أحدهما الآخر على وجهه. الرجل الذي ضرب على وجهه تألم ولكنه دون أن ينطق بكلمة واحدة كتب على الرمال: **اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي**. استمر الصديقان في مشيهما إلى أن وجدا واحة فقررا أن يستحما. الرجل الذي ضُرب على وجهه علقت قدمه في الرمال المتحركة وبدأ في الغرق، ولكن صديقه أمسكه وأنقذه من الغرق.

بعد أن نجا الصديق من الموت قام وكتب على قطعة من الصخر: **اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي**. الصديق الذي ضرب صديقه وأنقذه من الموت سأله: لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال، والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟

فأجاب صديقه: عندما يؤذينا أحد علينا أن نكتب ما فعله على الرمال حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحو الكتابة، ولكن عندما يصنع أحد معنا معروفًا فعلينا أن نكتب ما فعل معنا على الصخر حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحوها. تعلموا أن تكتبوا آلامكم على الرمال وأن تنحتوا المعروف على الصخر. (من فضلك اقرأ أف ٤: ٣٢).

٣٦

أين يختفي السُم؟

سرد أحد المؤمنين هذه القصة لأولاده: منذ زمان بعيد، كانت تعيش في الصين فتاة اسمها «لي لي»، تزوجت وذهبت إلى بيت حماتها لتعيش مع زوجها في بيت أسرته، حسب عادة البلاد هناك. ولم يمض وقت قليل إلا ووجدت «لي لي» أنها لم تعد قادرة على المعيشة مع حماتها على الإطلاق. فإنها وجدت أن شخصيتها لا تتناسب، بل وتختلف كل الاختلاف عن شخصية حماتها؛ فقد كانت «لي لي» تغضب من عادات حماتها، بالإضافة إلى أن حماتها كانت تنتقد «لي لي» دائمًا.

ومرت الأيام، وعبرت الأسابيع، و«لي لي» وحماتها لا تكفان عن العراك والجدال. ولكن، ما جعل الأمر أسوأ وأسوأ، هو أنه بحسب التقاليد الصينية يجب على الكنّة (زوجة الابن) أن تخضع لحماتها وتطيعها في كل شيء. وقد سبب كل هذا لزوجها الحزن والألم الشديد.

وأخيرًا، وجدت «لي لي» أنها لا يمكنها أن تقف هكذا في مواجهة سوء أخلاق حماتها وتحكُّمها فيها، فقررت أن تفعل أي شيء لتتحاشى ذلك.

وفي اليوم التالي توجهت «لي لي» إلى صديق حميم لوالدها، وهو السيد هويانج، تاجر أعشاب طبية في القرية التي تعيش بها. وأخبرته بكل الوضع وسألته إن كان يمكنه أن يعطيها بعض الأعشاب السامة حتى تحل مشكلتها مع حماتها مرة واحدة وإلى الأبد. وفكر هويانج مليًا برهة من الزمن، وأخيرًا قال: «انظري، يا «لي لي» سوف أساعدك على حل مشكلتك، ولكن عليك أن تنصتي لما أقوله لك وتطيعيني».

فردت عليه «لي لي»: «حاضر، يا هويانج، سوف أفعل كل ما تقوله لي». ودخل هويانج إلى الغرفة الداخلية لدكانه، ورجع بعد عدة دقائق حاملاً رزمة من الأعشاب. وقال لـ «لي لي»: «انظري أنت لا تستطيعين استخدام سمًا سريع المفعول لتتخلصي من حماتك، لأن ذلك سوف يثير الشك في نفوس أهل القرية؛ لذلك فقد أعطيتك بعض الأعشاب التي تبني السموم في جسمها، وعليك يومًا بعد يوم أن تعدي لحماتك أكلة لذيذة الطعم وتضعي فيها قليلاً من الأعشاب في إناء للطبخ. ولكي تتأكدي من أنه لن يشك فيك أحد حينما تموت، فلا بد أن تكوني واعية جدًا في أن تتصرفي معها بطريقة وديّة جدًا فلا تتجادلي معها وأطيعيها في كل رغباتها، بل عامليها كأنها ملكة البيت»!

وسُرّت «لي لي» جدًا وشكرت السيد هويانج، وأسرعت إلى البيت لتبدأ خطة قتل حماتها! ومرت الأسابيع، وتتابعت الشهور، و«لي لي» تعد الطعام الخاص الممتاز كل يومين لحماتها، وتعاملها كأنها أمها.

وبعد مرور ستة أشهر، تغير كل شيء في البيت. فقد بدأت «لي لي»

تحاول أن تضبط أعصابها كيلا تغضب من حماتها، حتى أنها وجدت أنها لم تعد تتصرف معها بحماقة أو بغضب.

وظلت «لي لي» لا تدخل في مجادلات مع حماتها لمدة ٦ شهور، لأن حماتها بدأت تعاملها بحنو أكثر وبتبسط أكثر. وهكذا تغيّر اتجاه الحماة تجاه «لي لي»، وبدأت تحبها كأنها ابنتها! بل صارت تحكي لصديقاتها وأقاربها أنه لا توجد كنة أفضل من «لي لي». وبدأت «لي لي» وحماتها يتعاملان معًا كأم حقيقية مع ابنة حقيقية! أما زوج «لي لي» فعاد سعيدًا جدًا وهو يرى ما يحدث.

ولكن «لي لي» كانت منزعجة من شيء ما. فتوجهت إلى السيد هويانج وقالت له: «سيدي هويانج، أرجوك أن تساعدني لإيقاف مفعول السم الذي أعطيته كي لا يقتل حماتي! فقد تغيرت إلى سيدة طيبة، وصرت أحبها كأنها أمي. أنا لا أريدها أن تموت بالسم الذي وضعته لها في الطعام».

وابتسم هويانج وأطرق برأسه قليلاً ثم قال لها: «يا «لي لي» ليس هناك ما يثير انزعاجك! فأنا لم أعطك سمًا، فالأعشاب التي أعطيتها لك كانت ڤيتامينات لتقوية صحتها. السم الوحيد كان في ذهنك أنت وفي مشاعرك تجاهها. ولكن كل هذا قد زال بمحبتك التي أغدقت بها عليها».

ألا يحدث مثل هذا الخلاف والانشقاق في بيوتنا وكنائسنا وبين أفراد عائلاتنا؟! وهذا هو العلاج: **المحبة!** فلننصت ولنطع كلمات الوحي الإلهي لنا جميعًا، ونضعها موضع التنفيذ:

«ليُرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح»

(أف٤: ٣١، ٣٢)

ونفس التحذير، ونفس الوصايا، كررها الرسول بولس في رسالة غلاطية الأصحاح الخامس من عدد٢. وكذلك في الرسالة إلى كولوسي الأصحاح الثالث من عدد٨.

٣٧

هل كلمة أسف تداوي الجراح؟

كان هناك شاب عصبي وكان يفقد صوابه بشكل مستمر فأحضر له والده كيسًا مملوءًا بالمسامير وقال له: «يا بني أريدك أن تدق مسمارًا في سياج حديقتنا كلما اجتاحتك موجة غضب وفقدت أعصابك».

وهكذا بدأ الشاب بتنفيذ طلب والده.. فدق في اليوم الأول ٣٧ مسمارًا، ولكن إدخال المسمار في السياج لم يكن سهلاً، فبدأ يحاول تمالك نفسه عند الغضب وبعد مرور أيام كان يدق مسامير أقل، وبعدها بأسابيع تمكن من ضبط نفسه وتوقف عن الغضب وعن دق المسامير، فجاء إلى والده وأخبره بإنجازه ففرح الأب بهذا التحول، وقال له: «ولكن عليك يا بني استخراج مسمار لكل يوم لا تغضب فيه».

وبدأ الشاب من جديد بخلع المسامير في اليوم الذي لا يغضب فيه حتى انتهى من كل المسامير في السياج وجاء إلى والده وأخبره بإنجازه مرة أخرى، فأخذه والده إلى السياج وقال له: «يا بني إنك صنعت حسنًا.. ولكن انظر الآن إلى تلك الثقوب في السياج، هذا السياج لن يكون كما

كان أبدًا»، وأضاف: «عندما تقول أشياء في حالة غضب فإنها تترك آثارًا مثل هذه الثقوب في نفوس الآخرين، تستطيع أن تطعن الإنسان وتخرج السكين وتقول: أنا آسف، ولكن الجرح سيظل هناك».

لنحذر فقد تَصدر كلمة في لحظة نحتاج لشهور أو لسنوات في علاج تأثيرها، هذا يقودنا للحرص في كل كلمة ننطق بها للآخرين.

شذرة

لا تكن لك عينان باحثتان ومتتبعتان لكل مَنْ حولك، لا تلقِ بأذنيك خلف الأبواب وتحت الكراسي، لا تحاول أن ترى كل شيء، أو أن تسمع كل شيء عن أي شخص وفي أي مكان، لا تنشغل بأمور الناس وأحوالهم، فتنشغل بذلك عن أمورك الشخصية، فتفقد سلامك وراحتك، وتفقد كل الأفراح. فهناك فرق كبير بين البحث عن المعرفة وسعة الأفق، وبين معرفة أخبار الناس وأحوالهم وأسرارهم وتتبع حياتهم الخاصة، والتدخل في شئونهم، ولنأخذ بتحذير الكتاب:

«كممسك أذني كلب هكذا مَنْ يعبر ويتعرض لمشاجرة لا تعنيه» (أم٢٦: ١٧)

«فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره» (١بط٤: ١٥)

٣٨

الجنازة الخطأ

كنت مستهلكة تمامًا بسبب خسارتي، حتى أنني لم ألحظ مدى خشونة الديسك الذي جلست عليه. فقد كنت أحضر جنازة أعز صديقاتي.. أمي.. التى كانت أخيرًا قد خسرت معركتها الطويلة ضد السرطان. كانت فجيعتي شديدة حتى أننى كنت أجد صعوبة فى التنفس أحيانًا. فقد كانت أمي دائمًا مساندة لي، تصفق بحرارة فى مبارياتى المدرسية، تقدم المناديل لي وهي تصغي لأول كسرة لقلبي، تعزينى عند انتقال والدي، تشجعنى في دراستي الجامعية، وتصلي لأجلي طيلة حياتي.

عندما شُخِّص مرض والدتي، كانت أختي قد ولدت طفلاً، وكان أخي قد تزوج حديثًا، وهكذا صار عليّ أنا الابنة الوسطى ذات الـ ٢٧ عامًا والتي ليس هناك ما يشغلها، أن أعتني بوالدتي. وقد أعتبرتُ ذلك شرفًا كبيرًا لي. فتساءلت وأنا جالسة فى الكنيسة قائلة: «ما هو موقفي الآن يارب، بينما بدت حياتي كهاوية فارغة أمام عينيّ». كان أخي يجلس رصينًا وزوجته جالسة بجواره. بينما أختي كانت تسند رأسها على كتف زوجها. ولأن الجميع كانوا غارقين فى الحزن، لم يلحظ أحد أنني أجلس وحيدة.

أنا مكاني كان من المفروض أن يكون مع والدتنا، أجهز لها الطعام، وأصحبها للطبيب، أعطيها الأدوية، ونقرأ سويًا الكتاب المقدس. ولكنها هى الآن أصبحت مع الرب، وهكذا انتهى عملي وصرت وحيدة. وعندها سمعت صوت فتح وغلق باب فى مؤخرة الكنيسة. ثم تلى ذلك صوت خطوات متعجلة فوق الأرض المغطاة بالسجاد لرجل صغير السن، الذي نظر متجهمًا للحظات ثم جلس إلى جواري. طوى يديه ووضعهما فى حجره، بينما عيناه امتلأتا بالدموع، وراح شاهقًا يقول موضحًا أنه قد تأخر، بينما الموقف كان لا يحتاج إيضاحًا.

وبعد عدة كلمات تأبينًا لأمي، انحنى للأمام وقال: «لماذا جميعهم يُصرّون على دعوة مارى باسم مارجريت؟» فهمست قائلة: «لأن اسمها مارجريت. وليس ماري، فلا أحد يدعوها ماري على الإطلاق». وعندها تساءلت: «لماذا لم يجلس هذا الشخص فى الجانب الآخر من الكنيسة؟ فهو يقاطع حزني بدموعه وتململه. وتُرى مَنْ هو هذا الغريب أصلاً؟ وإذا به يهمس بإصرار بينما حملق فينا كثير من الحاضرين: «لا هذا ليس صحيحًا، اسمها ماري، ماري بيتر». فقلت له: «هذا ليس صحيحًا، مَنْ هي التي تقول عنها؟» فقال: «أو ليست هذه هي الكنيسة اللوثرية؟» فقلت: «لا الكنيسة اللوثرية في الناحية الأخرى من الشارع». فقال: «أوه». فقلت: «أنا أعتقد أنك سيدي في الجنازة الخطأ».

وهنا اختلط داخلي مهابة الموقف مع إدراكي بخطأ الرجل فأخرج مني ضحكًا، فأسرعت لأغطي وجهي بكلتا يداي، آملة أن يظنها الآخرين إنها نحيب. فاختلست نظرة خاطفة للرجل المذهول الذي أخطأ الجنازة فوجدته

هو الآخر يضحك، وتخيلت أن والدتي تضحك. وبينما راح يحملق حوله قرر أن الوقت قد فات لخروجه الذي أصبح لا معنى له. وبعد آمين الختامية فى الخدمة اندفعنا خارجين من الباب. وفي مكان انتظار السيارات قال لي مبتسمًا: «أعتقد أننا سنصير حديث المدينة». وأضاف أن اسمه ريك وحيث أنه لن يلحق بجنازة عمته، استأذنني في تناول فنجان قهوة معي بعد الظهر، وقد بدأ هذا الموعد رحلة بطول العمر لي مع هذا الرجل الذي أخطأ فحضر الجنازة الخطأ، ولكنه كان فى المكان الصحيح تمامًا.

فبعد عام واحد من هذا اللقاء تزوجنا أنا وهو في كنيسة ريفية حيث مسقط رأسه. وفى هذه المناسبة حضر كلانا نحن الاثنين إلى نفس الكنيسة فى الوقت الصحيح. فى وقت حزني أعطاني الله ضحكًا وعند وحدتى وهبني المحبة. ففى يونية الماضي (عند كتابة هذه السطور) احتفلنا بعيد زواجنا الثاني والعشرين، وحين يسألنا أي شخص عن كيفية التقاءنا، يجيبهم ريك قائلاً: «والدتها وعمتي قدمانا لبعض، وفي الحقيقة جمعنا معًا تم في السماء». حقًا كما قال أحدهم: «إن الزواج هو صُنع السماء»، وهذا يوافق كلمات الرب يسوع «الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان» (مر ١٠: ٩).

«ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥ : ٢٤)

«ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو ٨: ٢٨)

القسم الخامس: قصص وعِبَر

٣٩

مَنْ سيخلف الإمبراطور؟

قديمًا كان يعيش إمبراطور في الشرق الأقصى، وقد بلغ من العمر أقصاه، وأدرك أن الوقت قد حان ليختار مَنْ يخلفه. وبدلاً من أن يختار واحدًا من مساعديه أو أحد أبنائه أو قائد جيشه، قرر أن يفعل شيئًا مختلفًا؛ إذ دعا كل شباب المملكة إلى قصره في أحد الأيام، وطفق يقول لهم:

«يا شباب، لقد حان الوقت لأُقرر اختيار مَنْ سيخلفني ليصير الإمبراطور القادم. لقد قررتُ أن أختار واحدًا منكم»!

وبُهت الشباب! ولكن الإمبراطور مضى يقول:

«سوف أُعطي لكل واحد منكم اليوم بذرة واحدة، إنها بذرة خاصة جدًا. وأريدكم حينما تعودون إلى بيوتكم أن تزرعوا البذرة وترووها، ثم تعودون إلى هنا بعد مدة محددة من اليوم حاملين معكم ما أنبتموه من هذه البذرة. وسوف أفحص كل ما ستحضرونه، والشخص الذي أختاره بناءً على ذلك، سوف يكون هو الإمبراطور الجديد للمملكة»!

وكان من بين هؤلاء الشباب فتى اسمه «لينج» كان حاضرًا هناك في ذلك

اليوم، ومثل أقرانه استلم بذرة. ولما عاد إلى بيته سرد على أمه بابتهاج شديد كل ما حدث. فساعدته أمه بأن أَعدَّت له أصيصًا وبعض التربة المخصصة للزرع، وقام «لينج» بزرع البذرة، وصار يرويها بعناية فائقة. وفي كل يوم يرويها فيه كان يراقب ما إذا كانت البذرة تنمو أم لا.

وبعد ثلاثة أسابيع تقريبًا، بدأ يسمع باقي الشباب يتكلَّمون عن بذارهم وعن الزرع الذي بدأ ينمو كل واحد في أصيصه. أما «لينج» فكان يعود إلى بيته كل يوم وينظر الأصيص، لكنه لم يشاهد أية بادرة تنمو. ومرت ثلاثة أسابيع، وأربعة وخمسة، وظل الأمر على ما هو عليه!

ولكن الشباب الآخرين كانوا يتكلَّمون عن نباتاتهم التي نمت من البذار التي أخذوها من الإمبراطور، أما هو فلم يجد أية بادرة نبات، وأحس بالإخفاق. ومضت عدة أشهر، وما زال أصيص «لينج» لا نبات فيه. ولم يقل «لينج» شيئًا لرفقائه الشباب، لكنه ظل ينتظر وينتظر أن تنبت بذرته.

وعندما حلَّ الموعد ليُحضر شباب المملكة زرعهم إلى الإمبراطور ليفحصه، قال «لينج» لوالدته إنه لن يذهب حاملاً أصيصًا فارغًا. لكنها شجَّعته أن يذهب، حاملاً أصيصه ولو فارغًا وأن يكون أمينًا وصادقًا في سرد ما حدث. وأحس «لينج» بألم شديد، لكنه كان يعرف أن والدته دائمًا على حق. فحمل أصيصه الفارغ ومضى إلى القصر.

وحينما وصل «لينج» إلى القصر اندهش من تنوُّع النباتات التي نمت لدى كل الشباب الآخرين. كانت جميلة حقًا، في منظرها وحجمها. ووضع «لينج» أصيصه على الأرض فارغًا، فأخذ كثيرون من الشباب يضحكون عليه، ولكن قِلَّة منهم رثوا لحاله وقالوا: «هي محاولة»!

وحينما وصل الإمبراطور، عَبَرَ على الصالة كلها وحيًّا الشباب كلهم، وحاول «لينج» أن يُخفي نفسه فانسحب إلى آخر الصالة.

وقال الإمبراطور: «ما أعظم الزروع والأزهار التي أنميتموها؛ واليوم، واحد منكم سوف يُختار ليكون الإمبراطور القادم»!

وفجأة، لمح الإمبراطور الشاب «لينج» في مؤخرة الصالة بأصيصه الفارغ! فأمر حرَّاسه أن يُحضروه إلى المقدمة أمامه. وارتعب «لينج» وقال في نفسه: «الإمبراطور عرف أني فشلت، وقد يأمر بقتلي لأني أفسدتُ بذرته»!

وحينما وصل «لينج» إلى المقدمة، سأله الإمبراطور عن اسمه. فأجاب: «اسمي لينج». فأخذ كل الشباب يضحكون ويستهزئون به. وأمر الإمبراطور الكل بالهدوء، ثم نظر إلى «لينج» وقال للجميع:

- «انظروا! ها هو إمبراطوركم الجديد! واسمه «لينج».

ولم يُصدِّق «لينج» ما سمعه، فإنه لم يستطع حتى أن يُنمي بذرته. فكيف يكون هو المختار إمبراطورًا؟

ثم أكمل الإمبراطور: «اليوم مرَّ وقت منذ أن أعطيت لكل واحد منكم هنا بذرة، وطلبت منكم أن تأخذوا البذرة وتزرعوها وتُعيدوها لي اليوم. لكني أعطيتكم كلكم بذورًا مَغْليَّة لا يمكن أن تنمو. وكلكم، ما عدا «لينج»، أحضرتم شجيرات ومزروعات وزهورًا. فحينما وجدتم أن البذرة لم تنمُ، استبدلتموها ببذار أخرى بدلاً من تلك التي أعطيتُكم. أما «لينج» فقد كان الوحيد الذي كان عنده هذا القدر من الشجاعة والأمانة والصدق ليُحضِر أصيصه فارغًا وبذرتي فيها. لذلك، فهو الذي سيكون الإمبراطور الجديد»!

الشجاعة والأمانة والصدق هي رأس مال الشباب. وحتى لو قابل الشاب المسيحي ما اعتبره فشلاً أو إخفاقًا، فهو لن يلجأ إلى التحايل أو السلوك الملتوي لكي يُصحح موقفه، بل يجاهد بنعمة الله، والله سيُعينه.

«الرجل الأمين كثير البركات»
(أم ٢٨: ٢٠)

«لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض»
(أف٤: ٢٥)

٤٠

أغنى رجل

كان أحد أصحاب الإقطاعيات الزراعية الكبيرة واسمه «شارل» يمتطي صهوة جواده، متجولاً في أراضيه الشاسعة، متباهيًا بثروته الهائلة وممتلكاته المتعددة، في الوادي الكبير الكائن بجانب النهر الذي يشق إحدى بلدات الريف.

وفي يوم من الأيام، بينما هو يتجوَّل راكبًا على جواده المُحبَّب، متفقدًا العمل في مزرعته الكبيرة المترامية الأطراف، رأى «جون» الفلاح العجوز المُعمِّر في المزرعة منذ أن كان طفلاً.

كان جون جالسًا تحت شجرة كافور، بينما كان شارل يتجوَّل في مزرعته. ورآه شارل مفترشًا الأرض يتناول طعامه وقت الظهيرة: بصلة وخبزًا جافًا وبعض الأعشاب الخضراء. وسأله «شارل»: «كيف حالك يا جون؟»

فأجابه جون مبتسمًا، وعلى وجهه علامات الرضا والسعادة: «لقد كنتُ أشكر الله بعد أن انتهيتُ من تناول الطعام».

لكن شارل اعترض كلامه قائلاً: «إن كان هذا هو كل ما آكله أنا، فلستُ أحسُّ بأني لا بد أن أشكر الله عليه!»

فردَّ عليه جون بتواضع شديد: «إن الله أعطاني كل ما أنا محتاج إليه. لهذا أنا أشكره وأحمد فضله على ذلك».

ثم أردف الفلاح العجوز الذي كان مشهورًا في مزارع السيد «شارل» بطيبة قلبه قائلاً: «وعلى فكرة، من الغريب أنك تمرُّ عليَّ اليوم، لأني حلمتُ حلمًا غريبًا الليلة. فقد سمعتُ في هذا الحلم صوتًا يقول لي: «إن أغنى رجل في هذا الوادي سوف يموت الليلة»! وأنا لا أعرف ماذا يعني هذا؟ ولكني وجدتُ أنه من الضروري أن أُخبرك به».

وأبدى «شارل» اشمئزازه قائلاً: «الأحلام كلها هراء»!

وانطلق بحصانه بعيدًا مُكمِّلاً تجواله. لكنه لم يكن قادرًا أن ينسى كلمات «جون»: «أغنى رجل في الوادي سوف يموت الليلة»!

لقد كان واضحًا لشارل وللجميع أنه هو أغنى رجل في الوادي؛ لذلك فحالما عاد إلى بيته استدعى طبيبه الخاص إلى منزله في هذا المساء. وقصَّ «شارل» على الطبيب ما قاله «جون».

وقام الطبيب بفحص «شارل» فحصًا دقيقًا، ثم قال لصاحب المزارع الغني: «يا شارل، أنت قوي وبصحة جيدة كالحصان! وليس من سبيل إلى أنك ستموت الليلة».

لكن «شارل» ألحَّ على الطبيب أن يُلازمه الليلة كلها، لزيادة الاطمئنان ودرءًا لأي طارئ مفاجئ، مقابل مبلغ كبير من المال. وقضيا الليل كله معًا يلعبان ورق الكوتشينة!

وفي الصباح الباكر غادر الطبيب منزل «شارل» بعد الاطمئنان عليه. واعتذر «شارل» له على إزعاجه له بحلم ذلك الفلاح العجوز.

وفي حوالي الساعة التاسعة صباحًا، دقَّ الباب طارقٌ، ففتح له «شارل»، وبادره القول: «ماذا عندك»؟

فردَّ عليه الرسول: إن الأمر يتعلَّق بالفلاح العجوز «جون». لقد مات الليلة الماضية بينما هو نائم!!

تُرَى: مَن كان حقًّا أغنى رجل في الوادي؟!

«أَمَا اختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان، وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يُحبُّونه»
(يع ٢: ٥)

٤١

معفي من دفع الضريبة

منذ سنوات عديدة أتى مأمور الضرائب إلى خادم للرب كان فقيرًا لكي يحصي ممتلكاته ويضعه في الشريحة الضريبية المناسبة.

سأله المأمور: «ما هي الممتلكات التي عندك»؟

أجابه: «أنا غني جدًا».

«إذن فلنبدأ في إحصاء ممتلكاتك»، هكذا ابتدره المأمور فقال:

أولاً: «أنا أمتلك الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦)

ثانيًا: «أمتلك منزلاً في السماء» (يو١٤: ٢)

ثالثًا: «أمتلك سلامًا يفوق كل عقل» (في٤: ٧)

رابعًا: «عندي فرح لا يُنطَق به» (١بط١: ٨)

خامسًا: «عندي محبة إلهية لا تسقط أبدًا» (١كو١٣: ٨)

سادسًا: «عندي امرأة فاضلة» (أم٣١: ١٠)

سابعًا: «عندي أولاد طائعين وأصحاء ومباركين» (خر٢٠ : ١٢)

ثامنًا: «عندي أصدقاء أوفياء مُخلصين» (أم١٨ : ٢٤)

تاسعًا: «عندي ترنيمات في المساء» (مز٤٢ : ٨)

عاشرًا: «أمتلك إكليل الحياة» (يع١ : ١٢)

حادي عشر: «أمتلك مُخلِّصًا، الرب يسوع المسيح، يملأ كل احتياجي» (في٤ : ١٩)

فأغلق المأمور الملف الضريبي الذي معه وقال: «حقًا إنك رجل غني جدًا، ولكن ممتلكاتك هذه لا تخضع للنظام الضريبي».

«كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء»

(٢كو٦ : ١٠)

٤٢

هذا المنزل جدير باقتنائه

صاحب منزل أراد يومًا من الأيام بيعه فلجأ إلى صديقه المقرب إليه ليكتب له إعلانًا عن بيع المنزل، حيث أن صديقه لديه مهارات في التسويق، فكتب إعلانًا وبدأ يقرأه له: «منزل مؤسس جيدًا، جيد التهوية، تدخله الشمس أوقات طويلة، يطل على البحر...» وبعض الصفات الجيدة التي تغري أي مشترٍ ليقتني البيت، وفيما هو يقرأ كان صاحب المنزل يسمع بانتباه شديد لما يصف به منزله، وفور انتهاء الرجل من قراءة الإعلان، طلب صاحب المنزل من صديقه إعادة قراءته مرة أخرى، وبعدما أعاد قراءة أوصاف المنزل هنا تنهد صاحب المنزل وقال: «طيلة هذه السنين وأنا لا أشعر بكل هذه المميزات بمنزلي ولم أفكر فيها، حقًا هذا المنزل جدير باقتنائه»، وطلب من صديقه أن يمزق الإعلان لأنه قرر عدم بيعه.

كم من الأمور لدينا ولا نشعر بها مع أنها تحوي لنا إحسان الله، فنحن دائمًا نفكر فقط فيما هو مُكدِّر أو ما نحن محرومون منه.

«اشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم»

(١تس ٥: ١٨)

٤٣

أنا صاحب الفكرة

يُحكى أن ضفدعة كانت تعيش في بيئة باردة جدًا ومر زمن طويل وهي تقيم في هذه البيئة الباردة، ويومًا ما تقابلت مع حمامتين وقالت لهما: «اسمحا لي أن أعرض عليكما فكرة»، فرحبت الحمامتان بحديثها.

قالت الضفدعة: «لقد سئمت هذه المنطقة الباردة جدًا وأنا أعلم جيدًا أنكما تستطيعان الطيران بسرعة وأحيانًا كثيرة تهاجران من منطقة إلى أخرى، ولكني لا أستطيع ذلك فهل ترحبان بي وتأخذاني من هذه المنطقة إلى منطقة حارة؟»

فأجابت الحمامتان وقالتا: «لكن كيف نأخذك معنا؟»

فقالت الضفدعة: «حسنًا، لقد فكرت كثيرًا في هذا الأمر ووصلت إلى حل لهذه المشكلة وهو أنني سوف أحضر حبلاً صغيرًا وأربطه في قدم كل حمامة منكما وأقوم بعد ذلك بمسك الحبل من المنتصف، فحينما تطيران أطير أنا أيضًا معكما».

فرحبت الحمامتان بهذه الفكرة الظريفة وأسرعت الضفدعة ونفذت الفكرة

وأمسكت الحبل من المنتصف بفمها، وعندما طارت الحمامتان طارت هي أيضًا معهما.

وإذ بشخص ما سائر في الطريق، رفع عينيه إلى فوق، فشاهد هذا المنظر وقال: «يا له من مشهد جميل تُرى مَنْ صاحب هذه الفكرة؟»

فقالت الضفدعة «أنا...» وفتحت فمها، وفي الحال سقطت على الأرض وماتت! وهذه هي عاقبة الأنا فهي تُسقط صاحبها وتوصله إلى الموت.

عزيزي القارئ: ارفض الأنا واطلب من الله أن يميت الأنا في حياتك، لكي لا يتم في حياتك قول الكتاب:

«قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح»
(أم١٦: ١٨)

المثمر المتضع

كان رجل وابنه يسيران في طريقهما فمرا على حقل، فقال الولد لأبيه: «انظر يا أبي تلك السنابل الشامخة إلى العلاء، لا شك أنها معتزة بكثرة أثمارها فخورة بجمال سنابلها، ولكن انظر تلك المنحنية.. فلا شك أنها في شدة الخجل من قلة إثمارها»

فأجابه أبوه: «إن الأمر عكس ما قلت تمامًا، فإن هذه السنابل العالية المتشامخة لم ترفع نفسها إلا لأنها خفيفة لا ثمر فيها، بخلاف تلك المنحنية فإنها لم تنحن إلا لأنها محملة بالثمر الكثير... فالثمر يولِّد فينا التواضع».

٤٤

رأيت الموت

كان هناك شيخ بار في حياته، يومًا ما قادته خُطاه إلى مغارة يستريح فيها قليلاً، ويعكف فيها على الصلاة والتأمل. وإذ به يرى كنزًا مخبوءًا هناك. فما كان منه إلا أنه هرول خارج المغارة يصيح: «رأيت الموت.. نعم رأيت بعينيّ الاثنتين» والتقى به صدفة في أثناء هربه لصوص ثلاثة، فلاحظوا خوفه فأشفقوا عليه وعرضوا عليه المساعدة. ولما قال لهم أنه رأى الموت، هدّأوا من روعه وطلبوا منه أن يأخذهم إلى المكان ليروا الموت هم أيضًا.

قادهم الشيخ إلى المغارة، واقترب من الكنز فأشار إليه مرتعبًا وقال: «هوذا الموت». تقدّم اللصوص بحذر، وما أن رأوا الكنز حتى جُنّوا من الفرح، فقالوا للشيخ: «لقد أصبت، هذا هو الموت بعينه. فاهرب منه سريعًا قبل فوات الأوان». وبقي ثلاثتهم في المغارة يتبادلون الرأي في كيفية نقل الكنز. طال بهم الأمر في التفكير، فشعروا بالجوع، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليحضر لهم ما يأكلون، وبعد ذلك يقرّرون كيف ينقلون الكنز. ذهب اللص إلى المدينة ليحضر الطعام، لكنه فكّر في نفسه: «سآكل أنا في المدينة، وسأحضر الطعام لرفيقيّ. لكني سأدِّس لهما السّم في الأكل، حتى إذا ماتا أخذت الكنز

لوحدي». وهكذا فعل. أما رفيقاه في المغارة، ففكّرا هما أيضًا قائلين: «لمَ لا نتقاسم الكنز نحن الاثنين. فلنقتل رفيقنا حالما يعود ونتقاسم الغنيمة».

وما هي إلا لحظات، حتى وصل الرفيق الثالث من المدينة يحمل الطعام. وما أن دخل حتى عاجله اللصان بضربة قاضية على رأسه، فمات على الفور. ثم جلسا يأكلان ويشربان. لكن سرعان ما أخذ السمّ يسري فيهما بمفعوله فقضيا نحبهما... وبقي الكنز مكانه.

«لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة»

(١تي٦: ١٠)

٤٥

سأقبل عذرك وسأعود مرة أخرى

جاء في قصة شعبية أن شابًا أتاه الموت فجأة فقال له: «مَنْ أنت؟»

«أنا الموت!»

«ماذا تطلب؟»

«أطلب نفسك الآن!»

«كيف وأنا شاب صغير ولي طفلان صغيران؟! إني فقير لم أجمع لهما شيئًا. كيف يعيشان بعد موتي؟ أعطني فرصة حتى أدبر أمور الطفلين».

«سأقبل عذرك، لكنني سأعود مرة أخرى إليك ولن أقبل أي عذر».

«أرجو قبل حضورك ترسل لي رسولاً حتى لا أفاجأ بحضورك».

«أعدك بذلك».

كان الشاب مضطربًا، لكنه سرعان ما أدرك أن كل هذا لم يكن إلا حلمًا. استيقظ الشاب، وكان يخشى أن يكون ما رآه في الحلم حقيقة. عبرت سنوات وسنوات وصار الرجل غنيًا جدًا، وتزوج ابناه، وإذ شاخ جدًا جاءه

الموت يطلب نفسه. قال الرجل له: «كيف تطلب نفسي، وأنت قد وعدتني أن ترسل لي رسولاً يخطرني بحضورك، فأرجو أن توفي لي بوعدك!»

أجاب الموت قائلاً: «لقد وفيت بوعدي، لم أرسل لك رسولاً واحدًا بل سبعة رسل: الرسول الأول هو عيناك اللتان كانتا حادتين، والآن قد صارتا عاجزتين. الرسول الثاني هو أذناك، فقد كدت أن تصير أصمًا بالكاد تسمع صوت بوق مرتفع. الرسول الثالث هو أسنانك التي كانت تسحق الحجارة وقد تساقطت جميعها. الرسول الرابع هو شعرك الذي كان أسود وقد صار أبيض كالقطن. الرسول الخامس هو هيكل جسمك الذي كان كشجرة النخيل وقد انحنى كالقوس. الرسول السادس هو ساقاك اللتان صارتا ترتعشان ولا تقدران أن تحملاك. والرسول السابع هو شهيتك، فبعدما كنت تأكل كل شيء بالكاد تقبل أن تأكل القليل. هؤلاء هم الرسل السبعة؛ ألم تسمع لهم؟» وإذ سمع الرجل ذلك سلَّم نفسه بين يدي الموت.

«فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور»

(جا١٢: ١)

وعن هذه السنون وعن هؤلاء الرسل اقرأ من فضلك من نفس الأصحاح جامعه ١٢ والأعداد من ٢- ٦

٤٦

توقف عن الحديث معي، ليحدث الجزار

إذ كان الفلاح العجوز يحرث أرضه اعتاد أن يضع ثورًا وبغلاً معًا يقوما بسحب المحراث. تكونت صداقة قوية بين الثور والبغل اللذين كانا يمارسان عملهما معًا بكل اجتهاد. قال الثور للبغل: «لقد تعبنا أيامًا كثيرة في حرث الأرض، ولم يعطنا الفلاح راحة كافية. هيا بنا نلعب دور المريضين، فيهتم بنا ويريحنا قليلاً».

أجاب البغل: «لا، كيف نتمارض وموسم الحرث قصير، والأيام مقصرة. إن الفلاح يهتم بنا طوال العام، ويقدم لنا كل احتياجاتنا. لنعمل باجتهاد حتى ننتهي من عملنا، فيفرح الفلاح».

قال الثور: «إنك غبي وغير حكيم. لتعمل أنت باجتهاد، فيستغلك الفلاح، أما أنا فسأتمارض».

إذ تظاهر الثور بالمرض قدم له الفلاح عشبًا طازجًا وحنطة واهتم به جدًا وتركه يستريح. عاد البغل من الحرث مرهقًا إذ كان يسحب المحراث بمفرده، فسأله الثور: «ما هي أخبارك؟»

أجابه البغل: «كان العمل شاقًا، لكن اليوم عبر بسلام».

سأله الثور: «هل تحدَّث الفلاح عني؟»

أجاب البغل: «لا».

في الصباح قام الثور بنفس الدور حاسبًا أنه قد نجح في خطته واستطاع أن يعيش في راحة ويعفي نفسه من العمل؛ يأكل ويشرب وينام بلا عمل. وفي نهاية اليوم جاء البغل مرهقًا جدًا. سأل الثور البغل كما في اليوم السابق عن حاله فأجابه: «كان يومًا مرهقًا جدًا، لكنني حاولت أن أبذل جهدًا أكثر لأعوض عدم مشاركتك إياي في العمل».

فتهلل الثور جدًا وسخر بالبغل لأنه يرفض أن يتمارض لكي يستريح معه. سأل الثور البغل: «ألم يتحدث معك الفلاح بشي عني؟»

أجابه البغل: «لم يتحدث معي بشيء، لأنه كان منهمكًا في الحديث مع الجزار».

هنا انهار الثور وأدرك أن الفلاح سيقدمه في الغد للذبح، لأنه لا يصلح للعمل بعد.

- كثيرًا ما نظن أن راحتنا هي في الكسل والتراخي، فنتمارض ونعطي لأنفسنا أعذارًا، ولا ندرك أننا بهذا نعد أنفسنا للذبح.
- كثيرًا ما نتلذذ بشهوات الجسد، ظانين أن ذلك فيه راحة ومكسب، لكنه تأتي لحظات ندرك أننا كنا نذبح أنفسنا.

٤٧

ورثة الله ووارثون مع المسيح

رقد الرجل على فراش الموت، وإذ كان غنيًا جدًا قال للرب: «هل سأترك كل هذه المقتنيات وأنا قد تعبت في جمعها طوال أيام حياتي؟ أما تسمح لي بإحضار بعض منها معي؟».

فأجابه الرب: «ولكن لماذا؟ إن الأشياء الأرضية لا تصلح لمعيشة السماء».

«أرجوك يا رب اسمح لي».

«حسنًا، يمكنك إحضار حقيبة واحدة فقط».

وهكذا أمر الرجل الغني أحد خدامه بملء أكبر حقيبة لديه بسبائك الذهب المستطيلة. وصل الرجل على أعتاب السماء فاستوقفه ملاك قائلاً: «إنك لا تستطيع الدخول بهذا!»

«أرجوك اسمح لي فأنا طلبت من الرب هذه الطلبة أن أحضر بعضًا من أموالي معي».

«حسنًا ولكن تُرى ماذا أحضرت؟! هل تسمح لى برؤية ما في الحقيبة»

«تفضل»

نظر الملاك داخل الحقيبة ثم ابتسم ابتسامة عريضة. تعجب الرجل جدًا وسأله: «ما الذي يجعلك تبتسم هكذا؟!»

فقال الملاك: «لأني متعجب كيف أنك أحضرت معك ما نستعمله هنا في رصف الأرضيات!»

بالرغم من أن هذه القصة رمزية وبها بعض الأمور الخيالية حيث إن السماء ليست فيها أرضيات ولا مفروشة بهذا الذهب الأرضي، إلا أنها تُعبِّر لنا بوضوح على أن كل ما قد نقتنيه على الأرض لا يساوي شيئًا بالنسبة للأمجاد المُعدة لنا من قبل إلهنا المحب.

«فإن كنا أولادًا فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله ووارثون مع المسيح»

(رو ٨: ١٧)

«بل اني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء»

(في٣: ٨)

٤٨

مثل التوأمين

مرة من المرات، حُبل بتوأمين في وقت واحد، وعبرت الأسابيع وكان التوأمان ينموان. وكلما كان نموها يزداد، كلما كانا يضحكان فرحًا: «ما أعظم ما نحن عليه إذ حبل بنا! ما أجملها حياة»!

وبدأ التوأمان يكتشفان العالم الصغير الذي يعيشان فيه. وحينما انتبها إلى الحبل الذي ينزل إليهما ويعطيهما الحياة (وهما في بطن أمهما)، كان يطربان فرحًا! ويقولان: «ما أعظم محبة أمنا لنا، حتى إنها تجعلنا نشترك في حياتها»!

وامتدت الأسابيع إلى شهور، وبدأ التوأمان يلاحظان كم أن شكلهما يتغير شيئًا فشيئًا. فسأل أحدهما الآخر: «ماذا يعني هذا»؟

فرد عليه شقيقه: «إنه يعني أن بقاءنا في هذا العالم آت إلى نهايته».

فأجابه الأول: «لكني لا أريد أن أرحل، أريد أن أبقى هنا دائمًا».

فرد عليه الآخر: «إن الأمر لا خيار لنا فيه فربما كانت هناك حياة تنتظرنا بعد خروجنا من ههنا».

فأجابه التوأم: «ولكن كيف يكون هذا؟ فإننا بخروجنا سوف نفقد هذا الحبل الذي يغذينا بالحياة، فكيف يمكن أن تكون لنا حياة بدونه؟ ثم هناك برهان آخر، فكما يبدو أن آخرين كانوا هنا قبلنا ورحلوا خارجًا، ولم يرجع ولا واحد منهم ليقول لنا إن هناك حياة بعد الخروج من هنا. لا، لا، هذه هي نهايتنا؛ بل إنه يبدو أنه لا يوجد أم على الإطلاق».

فاحتج التوأم الآخر على شقيقه: «لا، لابد أن تكون حياة! فلأي سبب آخر جئنا إلى العالم؟ وكيف لا نبقى أحياء»؟

فرد عليه التوأم الأول: «أخبرني، هل رأيت أمنا ولو مرة واحدة؟ وبهذا نكون نحن الذين اخترعنا هذه الفكرة لعلها تجعلنا سعداء».

وهكذا، كانت الأيام الأخيرة في الرحم مليئة بالتساؤلات العميقة والخوف الشديد من الخروج.

وأخيرًا، حلت لحظة الولادة. ولما انتقل التوأمان من عالمهما المظلم هذا، فتحا أعينهما وصرخا من الفرحة، إذ شاهدا أحلامهما تتحقق بأجمل مما تصورا.

هذا هو الرقاد وهذا هو الرجاء ولنتذكر كلمات الوحي:

«لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت... أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس. ولكن شكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (١كو١٥: ٥٣- ٥٧)

٤٩

قطعة أرض أم قطعة سلاح

تخيل أحدهم أن الشياطين اجتمعت بخصوص مناقشة سبب هزيمتهم أمام مؤمن معين عند حروبهم له لامتلاك قطعة أرض (صورة لحياة هذا المؤمن)، وبعد مناقشات دامت ساعات لم يصلوا إلى سبب واضح مقنع يوضح لهم سر الهزيمة.

أخيرًا وقف واحد منهم وقال: «لقد تذكرت أنه عندما كان عليّ أن أحارب ذلك الشخص أنه يُشهر في وجهي قطعة سلاح كنت لا أحتملها، وعندئذ كنت أهرب وتضيع عليّ فرصة الانتصار وامتلاك قطعة الأرض»، وعندما قال هذا تذكر بقية إخوته الشياطين نفس الأمر الذي كان يحدث لهم.

وعندما وصل مجمع الشياطين للسبب أخذوا يفكرون معًا في كيفية مواجهته وبعد مداولات كثيرة اقترح أحدهم اقتراحًا نال تصفيق وموافقة الجميع وهو أنه من الآن فصاعدًا لن نُحارب هذا الشخص على قطعة الأرض بل نُحاربه على قطعة السلاح، وعندما ننتصر عليه في قطعة السلاح عندئذٍ بسهولة نمتلك قطعة الأرض.

هل أدركت عزيزي القاريء مدلول قطعة السلاح؟ إنها قطعة من سلاح الله الكامل وهي الصلاة (أف٦: ١٨). ألا تتفق معي أن الفرص التي نقضيها في الصلاة تُحَارب من العدو بالكثير من المعطلات؛ لأن العدو يعلم تمامًا أن مؤمن بدون صلاة هو مؤمن بدون إله، فإن كانت هذه المكيدة جزءً من استراتيجية إبليس في حروبه معنا فلنجاهد في الصلاة، لكي نحمق مشورة وخطة العدو الذي يبغي امتلاك الحياة.

«البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم و لحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا، فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام، حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة، وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله، مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة و طلبة لاجل جميع القديسين»

(أف ٦: ١١- ١٨)

٥٠

إلى العلياء أعود

منذ سنوات كثيرة استخدم الله مبشرًا عظيمًا كانت موهبته الترنيم. وفي سنة ١٩٠٠ أرسل صديق لهذا المبشر صفحة من إحدى مجلات الشباب فيها قصيدة شعرية عنوانها: «طائر مكسور الجناح» تصور مأساة طائر جريح منظره يُدمي القلب إشفاقًا عليه، لتتخذ النفوس من هذه المأساة عظة وعبرة، إذ لم تعد لهذا الطائر قوة على التحليق وقد حط به الجناح المكسور. كانت تلك القصيدة بها هذه الكلمة:

حطة الجرح من عليائه وهل بغير جناح إلى العلياء يعود؟

وطلب هذا الصديق إلى صديقه المبشر أن يلحن هذه القصيدة ويرنمها أمام الجماهير. فبذل ذلك المبشر جهدًا كبيرًا حتى لحنها ووضع موسيقاها. وبعد عدة أسابيع دُعي ذلك المبشر ليعقد اجتماعًا تبشيريًا في أحد سجون المقاطعة، هناك في نهاية الاجتماع طلب منه رئيس السجن أن يرنم إحدى ترنيماته، وبدون تردد أخرج ذلك المبشر من جيبه الورقة التي فيها القصيدة وجلس على الأرغن وبدأ يرنمها، فلما وصل إلى ختامها وقع شيء غريب. فقد

برز بين المسجونين شاب وصاح قائلاً: « أيها الرئيس... أيها الرئيس هل هذا صحيح؟ هل لن يعود الطائر يومًا إلى القمم العالية؟ إن كان الأمر كذلك فلا رجاء لعائر مثلي أو لكثيرين من هؤلاء المسجونين»، ثم جلس يشهق بالبكاء. وفي الحال تنبه المبشر للخطأ الذي ارتكبه ولكن لم يسعفه الوقت ليشرح قصة هذه القصيدة أو يعتذر عما سببته خاتمتها لهذا الشاب.

وعاد المبشر إلى مدينته وهو يقول في نفسه: «هذا غير صحيح. هذا غير صحيح مطلقًا». وهذه الترنيمة يجب أن تضاف إليها فقرات تكمل الحقيقة. وبعد أيام أضاف إلى نهاية الترنيمة هذه الكلمات فكان ختامها هكذا:

حطه الجرح من عليائه وهل — بغير جناح إلى العلياء يعود؟
ذاك لا يقوى ولكن هوذا — فادٍ ينهض الموتى ويخلق من جديد
كم من تعابى بالخطايا آمنوا — قاموا وعاشوا بعد موت في اللحود
بعد موت في ظلام الشر عادوا — لحياة البر العلياء أحرارًا بمجد

هبني ربي مرة إلى العلياء أعود

ثم كتب إلى رئيس السجن يطلب منه أن يهييء له فرصة أخرى ليخدم في اجتماع تبشيري بين المسجونين، فكتب له رئيس السجن بالموافقة وحدد له الميعاد، وهناك رنم تلك الترنيمة مضافًا إليها الأعداد الختامية الجديدة. لكن نهاية القصة لم تأت بعد.

ففي سنة ١٩١٨ كان ذلك المبشر يرنم في اجتماع عُقد في إحدى المقاطعات، وبعد انتهاء الاجتماع إذا برجل يرتدي ملابس الظابط يأتي

إلى مكان المبشر ويمد له يده بالتحية قائلاً: «أنت طبعًا لا تتذكرني ولكني أتذكرك جيدًا. لقد تقابلت معك منذ ثماني عشر سنة في السجن حيث رنمت ترنيمة الطائر المكسور الجناح».

فقال المبشر: «نعم. نعم أذكر ذلك وأنا آسف لأني رنمت تلك الترنيمة التي أزعجتك نهايتها».

فقال الظابط: «حسنًا في المرة الثانية لما حضرت إلى السجن ورنمتها مع الأعداد الختامية المضافة إليها سلمت قلبي للرب يسوع واستطعت أن أنهض من جديد. وأنا الآن عميد فرقة مشاة في الجيش وها أنا مرة أخرى "إلى العليا أعود"».

فليس غريبًا إن كان من بين القراء واحد يتأسف على الماضي ويشعر كما يشعر هذا الظابط بالقنوط وهو في قيود السجن وننسى المكتوب:

«لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح»

(٢تي ١: ٧)

فإذا نحن أخذنا مركز الخطاة فإننا بذلك نكون في المكان الصحيح الذي عنده تفيض مجاري نعمة الله بما تحمل من هبات وعطايا السماء.

شكر واجب

لا يفوتنا أن نشكر الرب كثيرًا فهو مصدر العمل وهو الذي ثقل إخوة عملوا بكل قلوبهم من وراء الستار، ففي المراجعة والتنقيح والمشاورة استخدم الرب الإخوة الأفاضل: كمال تقاوي، إسحق حنا، معين بشير، فؤاد حكيم، كرم جاد، بهجت عدلي. وفي تقييم القصص وإبداء المشورة: إسحق إيليا، عياد ظريف، أمجد داود، إرميا أنور، نزيه ناجح، ريمون فايز، مجدي إسحق، ماجد ثابت، يوسف عاطف. وشارك في جمع بعض القصص من الإنترنت أمجد توفيق.